أرسين لوبين

إعترافات أرسين لوبين



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

إعترافات أرسين لوبين

(١٤)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

اعترافات أرسين لوبين
الفصل الأول

اشعلت سيجارتي الرابعة واصابعي ترتجف اشبه بحزمة من أوراق الشجر . وجعلت احملق إلى الباب خلال الدخان الأزرق كانما أتوقع أن ينفتح على مصراعيه رغم أنني كنت قد أدرت فيه المفتاح منذ ساعتين . ولم تكن رعدتي بسبب خشيتي القانون لأنني كثيراً ما خرقته وخالفته مطمئن البال ، ولكني كنت أرتعش كلما تذكرت ذلك الوغد (جوزيه سافيلا) يمطر الأرملة الشابة برصاصه ، ثم يتركها جثة هامدة على أرض سيارتي .

وكان أخوه "مانويل سافيلا" يناوئني واناوئه في كل مكان على طريقتي في تضييق الخناق على كل المجرمين ، وكذلك كان البوليس الإنجليزي يتشكك في منذ هبطت إلى إنجلترا عندما اجتاح الألمان الأرض الفرنسية .. ولكن مناواة "سافيلا" قد احتدمت اخيراً وسيلتف بسببي حبل المشنقة حول رقبة اخيه "جوزيه" ... وها هو ذا يكتشف أخيراً الحجرة الوضيعة التي انتقلت إليها ، وها هو ذا يرسل اعوانه لاقتناصي وإزهاق روحي في مكمني .. وكنت أعرف أن الدم الإسباني يجري في شرايين ذلك الرجل ، فلم أعجب لهياجه وانفعاله لأوهى الأسباب ، ولم أدهش لإصراره على الانتقام من خصومه في غير رحمة أو هوادة .

توالت الطرقات على الباب من جديد ، فدفعت السيجارة الخامسة في فمي لأنني بدونها أكون اشبه برجل يتضور جوعا وعطشا . وتصبب العرق من جبيني عندما وجدتني أشبه بفأر صغير في مصيدة يحيط به أكثر من قطة متحفزة ، ولكنني اعتزمت أن أبيع حياتي بأبهظ ثمن !

وارتفع صوت اجش يقول :

- افتح يا "لوبين" !

- وقال صوتٌ آخر :

- إنه ليس هنا يا "هنري" .
- انا واثق انه هنا فقد رايته عائداً منذ ساعتين ولم اره يغادر المنزل بعد ذلك .
فتوالت الطرقات ... وأدركت من الإلحاح في الطرق والنداء أنهم مصرون على اقتناصي .. وارتفع الصوت الأجش يقول :
- افتح او نحطم الباب !
فمضيت إلى الباب وإحدى يدي في جيبي قابضة على مسدسي ومددت الأخرى إلى المفتاح في شيء من التردد ، فقال "هنري" صاحب الصوت الأجش :
- أنا أسمعه يا "فريد". إن وقع قدميه يقترب من الباب . افتح يا "لوبين" ولا تخف والهبتني عبارته (لاتخف) ففتحت الباب حانقاً على الفور .. وسرعان ما اندفع إلى الحجرة رجل بدين يكتنز بالعضلات . أما رفيقه فكان شابا فاره الطول بادي الأناقة ممشوق القامة متجهم الأسارير . ولاحظا أنني اشد على قبضتي معتزما أن أدافع عن نفسي بكل ما أختزن فيها من قوة ، فقال الرجل البدين يسالني في رفق :
- أانت مسيو "لوبين" ؟
ولما أومات برأسي بالإيجاب عن سؤاله السخيف استطرد يقول :
- لاداعي لإثارة المتاعب . نحن صديقان لك .. فقط جئنا لنمضي بك إلى مكان بعيد .
ثم انتحى جانبا يحرك شدقيه في عصبية كانما يجتر شيئا بين أسنانه .. إلى أن قال له زميله :
- هيا بنا يا "هنري" !
وتقدمنا "فريد" فهبطت معهما إلى الشارع مؤثراً أن استسلم وأن أرى خاتمة ذلك المطاف ، وفي الطريق وجدت سيارة في انتظارنا ، وسرعان ما اقلتنا تسابق الريح ، وبعد عشر دقائق عاد البدين يقول لي :
- لاتخف يا "لوبين" فرئيسنا صديق لك .
وافتر فمه عن ابتسامة توحي بصدقه ، ولكني رحت اتساءل أي صداقة يمكن أن تجمع بيني وبين "سافيلا" بعد أن قدمت أخاه

للمشنقة ؟ وكنت أعرف جيداً جميع الشوارع الخلفية بين ميداني "ميدافيل" و"مايفير" ، فما إن بلغنا سوق شبرد حتى انحدرت بنا السيارة في طريق متعرج بين شارعي أكسفورد وبيكادللي ، بينما كان "هنري" يرمقني من حين إلى آخر بطرف عينه .. ودخلنا أخيراً إلى حظيرة للسيارات سرعان ما هبطت أرضيتها بسيارتنا إلى طابق تحت الأرض على عمق يقرب من ثلاثة أمتار ونصف المتر .

ونزل "فريد" من السيارة ليضغط زراً في الحائط فانشق أحد الجدران عن فجوة دخلنا منها مترجلين لنستقل مصعدا إلى طابق عال يشرف على الطريق ، وفيه أشار "هنري" إلى حجرة بها منضدة كبيرة ثم قال لي :

– اجلس هنا يا مسيو "لوبين" وسيتولى "فريد" مسامرتك .

وجلست .. وغاص "فريد" في مقعد إلى جانبي ، بينما مضى الرجل البدين وسائق السيارة خلال دهليز في الركن البعيد . واستدرت إلى "فريد" فسألني في اقتضاب :

– أظنك تتحرق على معرفة السر في هذه الرحلة الطويلة ؟

فقلت له :

– الواقع أن بي رغبة في الإصغاء .

ولكنه زمجر قائلا :

– إذن يجب أن تنتظر و أن تروض أعصابك على التاني بضع لحظات .

ثم قرأت في أساريره ما نصحني بالا أسترسل في الحديث ، فاخلدت إلى الصمت وأنا أتلهف على الخوض معه في سيرة "سافيلا" و مملكته الصغيرة تحت الأرض في قلب لندن ، ولذلك مالبثت بعد قليل أن قلت :

– سيفطن رجال البوليس إلى تغيبي وسيربطون بين غيابي وبين العداوة المستحكمة بيني وبين "سافيلا" ...

فلم يبد على الشاب أي دليل حتى على رغبته في الإنصات إلي، وكنت أعتزم مع ذلك المضي في حديثي لولا أن قدم زميله "هنري" عائدا وهو يمسك قبعته بإحدى يديه ثم قال لي :

– تعال يا مسيو "لوبين" فإن (الحاكم) سوف يقابلك في الحال..

وكان يبتسم ابتسامة عريضة كانما يتوقع أن تكون المقابلة بيني وبين "مانويل سافيلا" شائقة تدعو للاغتباط ... من ناحيتهم بالتاكيد!!

ومضيت اتبع "هنري" ويدي ممسكة بمسدسي في جيبي وكلي انتباه إلى فخ قد ينفتح فجاة تحت قدمي . اما "فريد" فظل غائصاً في مقعده وهو يرنو إلي وفي عينيه ما يشبه توديع صديق سيطول تغيبه !

وسرنا في الدهليز على سجاد ثمين لايسمع وقع للأقدام فوقه... وأدركت من جدته أنه مشترى من السوق السوداء ، وما أكثر عملاءها الوثيقي الصلة بـ"مانويل"وأخيرا رأيت باباً في الجدار ينفتح أمامنا دون أن يمسه "هنري" بيده أو أراه يضغط زراً هنا أو هناك ! وسرعان ما رأيت خلفه حجرة وثيرة الأثاث يتوسطها رجل يرتدي معطفاً رياضياً من صوف الجمل ويلف حول عنقه وشاحا جميلا .. واستدار عند دخولنا عن النافذة فشهقت لرؤيته ومضيت أحملق مشدوها إلى وجهه الصبيح الوسيم وشعره الفاحم وعينيه الحادتين وفي ذقنه الذي ينطق بقوة شكيمته .. ثم صحت :

– "نيد كازينو" ؟!

فالتقط علبة السجائر عن مكتبه وقدم لي سيجارة ثم أشعل لنفسه واحدة وهو يقول :

– دخن يا مسيو "لوبين" ..

فاخذت السيجارة منه واستعرت قداحته الذهبية ثم قلت :

– كنت اظنني مدعواً لمقابلة "سافيلا" ولذلك دهشت عندما فوجئت برؤيتك على غير انتظار !

فجلس الرجل على مقعد هزاز وأشار إلى ان أجلس أمامه وقال:

– إذن هذا ماظننته يا مسيو "لوبين" ؟ أراك شديد القلق من ناحية "سافيلا" منذ وضعت الحبل حول رقبة أخيه !! ولكن لماذا لم تنشد حراسة البوليس وخصوصا ذلك المفتش الطيب "دافيد سون" ؟!

فاستضحكت وقلت :

– إن التجائي إلى البوليس معناه السقوط من المقلاة إلى النار يا مستر "كازينو" .

- يبدو انك تعرف الكثير عني .. اليس كذلك ؟

- فقط من الصحف والمجلات التي تنشر صورتك كنجم سينمائي إيطالي الأصل وتشير من طرف خفي إلى انك تراس عصابة كبيرة لم يهتد البوليس بعد إلى طبيعتها .

وكذلك قرات في الصحف شيئاً عن ماضيك في الحرب ، وانك كنت في فرقة الفدائيين (الكوماندو) في دييب ونوماندي .

وماذا تعرف عني وعن "سافيلا" ؟

- مجرد شائعات عن العداء المستحكم بينكما .

- ومارايك يا مسيو "لوبين" في أن تعمل لحسابي مادمت لا تامن انتقام "سافيلا" ؟

فجذبت نفساً طويلا من سيجارتي ثم قلت :

- انا سائق سيارة ولا فائدة ترجى مني لك ؟

- هذا ما تدعيه في الآونة الأخيرة تضليلا لرجال البوليس أو لغرض في نفسك ..

ولكن يبدو انك ترتعد خوفا من "سافيلا" .

- إذن انت لاتعرفني جيداً .

- وهل أدل على خوفك من سكناك تلك الحجرة الضيقة إمعاناً في الهرب من نقمته.

دعك من التغرير بنفسك وبالأخرين يا "لوبين" !

- بل دعك انت من محاولة إغرائي بالانضمام إليك بهذا التحدي، ولا ادري كيف نتفق وانت لاتريد من وراء عصابتك سوى اكتناز المال بمختلف الطرق !

- إن طريقتي في الحصول على المال تمتاز بانها لا تتطلب جهدا عقلياً او تستدعي التصبب بالعرق . ولقد حار رجال البوليس في تفهمها ولذلك يرونني لغزاً أو طلسما عسير الحل ، ومازلوا يرقبون كل حركاتي وسكناتي وإن كنت لا اعمد إلى الطرق الملتوية التي يجيدها الأوغاد ! تصوروا إنني لا أطيق أن تظهر الصحف خالية من اسمي أو التلميح إلى جهودي الخفية ! إنني اجد في هذه الإشادة بذكري لذة وفخراً كبيرين . واظننا نتفق كماترى في أن رجال البوليس يحاولون

ان يلصقوا بنا تهمة تسوقنا إلى السجن وفي أن عدونا "سافيلا" مشترك بيننا فلماذا لا نتعاون إذن ؟ إنك "لوبين" الداهية وانا "كازينو" الذي لايهاب ، وفي وسعك وانت تحترف سواقة السيارات أن تتردد على جميع الأحياء فقيرها وغنيها دون أن تحوم حولك الشبهات .. فما رايك في ان اتخذك قائداً لسيارتي في الظاهر ؟ سوف أجزل لك العطاء باعتبارك شريكا وأعدك الا تمس يداك شيئا يمكن أن تسميه جريمة وكدت انفجر ضاحكا من هذه العبارات الأخيرة الصادرة من "كازينو" بالذات ، ولكنني آثرت الإخلاد إلى الصمت، فاسترسل يقول :

- إن لي اعوانا كثيرين منهم "سيف" و "فريد" ، و "ونجيت" .. وكلهم ممن ابلوا بلاء حسنا في الحرب ثم عادوا ليجدوا أوغاداً مثل "سافيلا" قد استغلوا السوق السوداء لمصلحتهم وحدهم ، وتولوا عمليات التهريب على نطاق واسع بواسطة سفنهم البخارية الخفيفة وارتفع صوت "هنري ستيف" يقول محذراً :

- "نيد" !

فابتسم "نيد كازينو" وقال لي :

- إن "ستيف" يحذرني من الاسترسال معك في الحديث ولكني واثق انك ستكون معنا في محاربة العصابات التي تعيث فساداً في السوق السوداء فنحصل لأنفسنا على النسبة المئوية ثم نحيل البضائع إلى التجار الأشراف يبيعونها حسب التسعيرة ! وعلى أية حال سوف تعمل من اجلنا إن لم تعمل معنا مادام لنا عدو واحد مشترك والآن لا احب أن احتجزك اكثر من هذا واشكر لك زيارتك القصيرة .

وهبطت الدرج من الناحية الأخرى بلا (مصعد) حتى بلغت الطابق الأرضي وهناك قال لي رفيقي "هنري ستيف" :

- امض من هذا الباب فوراً .

فسالته :

- لحظة واحدة .. كيف أستطيع الاتصال بـ"كازينو" عندما أريد ؟

فتلفت حواليه ثم قال :

- نحن لا نذكر هذا الاسم في الخارج .. افهمت ؟

وفعلا فهمت .. بل فهمت أكثر مما كانت تعنيه نظراته الخبيثة . وتمتم يقول :

- حسناً .. سوف نتصل نحن بك .

ومضيت إلى مطعم تناولت فيه بعض الشاي والشطائر ، ثم ركبت حافلة إلى منزلي .. وقبل أن أصل إلى باب حجرتي برز شبح من الظلام يسألني :

- أأنت "أرسين لوبين" !

فخطوت مذعورا إلى الخلف ويدي في جيبي قابضة على مسدسي. ولكن الشبح أضاء مشعله على الفور ، ثم قال في رفق:

- أنا من رجال اسكوتلانديارد جئت أدعوك لمقابلة المفتش "دافيد سون" في الحال .

قلت :

- ولكني لم أشترك في شيء يستدعي هذه الدعوة الآن ؟! لعله يقصد شخصا غيري !

- ألست "لوبين" الذي رأى "جوزيه سافيلا" يقتل امرأة في سيارته !

- أجل ولكن ...

- ألست "لوبين" الذي كان منذ قليل في زيارة "كازينو" ؟.

- وماذا لو كان ذلك ؟

- إذن أنت نفس الشخص الذي يريد المفتش مقابلته في الحال.

فمضيت معه إلى سيارة تنتظر في الشارع الثاني وقد احتلها الضابط "نيكولسن" وشرطي آخر فجلست بجانب السائق مزهوا ولكن الضابط غمغم قائلا :

- لا حاجة إلى إخبارنا بأنك قد التحقت بزمرة "كازينو" ولم أر تلك الحاجة فلم أخبرهم بشيء !

الفصل الثاني

عدت من اسكوتلانديارد مزعزع الثقة بنفسي فإن المفتش "دافيد سون" كان ظريفا معي ولم يشأ أن يرهقني طويلا بأسئلته، ولكنه أبدى ألمه عندما أخبرته انني لا أملك من الأقوال ما افضي به إليه، ثم اكتفى بأن حذرني من الاختلاط باللصوص والمجرمين والمهربين قائلا في دهاء :

- انت طوال عمرك في حرب ضد الأوغاد خارقي القوانين فكيف تختتم حياتك بالإتفاق معهم على حساب الأمن العام ومصالح الناس؟

فاكدت له انه واهم وانني ما عمدت إلى الاشتغال بسواقة السيارات إلا لانني كففت عن نشاطي الذي كان يدر علي الآفاً من الجنيهات أبتزها من المجرمين والأغنياء الظالمين ، ولكنه عاد يؤكد لي أن "نيد كازينو" واعوانه عصبة خفية تشتغل في السوق السوداء وتقتني اشياء كثيرة بطريقة خفية لن يلبث أن يهتدي إليها يوما ما ، وانه واثق أن هذه الأشياء تؤخذ بالسرقة والعنف ، ثم تصل إلى أيدي "كازينو" واعوانه فيبيعونها إلى تجار صغار ممن قيدت أسماؤهم بالسجل التجاري ولا غبار على تصريفهم مالديهم من بضائع .

ثم سكت لحظة واستطرد يقول :

- ولا تنس أن "سافيلا" يمقتك كل المقت ، وأظن "كازينو" صارحك بذلك أيضا ..

ولم اجب ، فاسترسل يقول :

- إن لديه سيارة كبيرة أمريكية تحمل رقماً جديداً ، ولكنني لا أدري كيف حصل عليها مع حظر استيراد هذه السيارات من أمريكا ! وإن كنت أعلم أن في زمرته أمريكياً يدعى "هانك برودسون" ، كان جاويشاً في الجيش وأحد من عملوا مع "كازينو" في "دييب" ، فلما انقضت الحرب عاد إلى أمريكا ليخلع بذلته الرسمية ويشتري سيارة كبيرة جاء بها إلى هنا معه .. وما كان في وسع أحد أن يمنعه من ذلك لأن السيارة مازالت مسجلة باسمه ، ولكننا نعرف من يستعملها الآن

بل نعرف سر مجيء (برودسون) إلى إنجلترا :
قلت ساخرا :
- لعله استطاب المكث هنا لأن نظام البطاقات في إنجلترا يروق له.
- كلا .. ولكن لأن له ماضياً في سجون أمريكا .
- أوليس هذا كافيا لأن يجعل إقامته هنا غير مرغوب فيها ؟
- هو ذلك ، لولا أنه حصل على وسام الاستحقاق وصليب الخدمة الممتازة ، وإلى أن نثبت عليه بالدليل المادي أحد المآخذ سيظل في مأمن من الترحيل والإقصاء .
- يبدو أنه و"كازينو" ، بل ومعظم أعوان "كازينو" يمتازون بسجلاتهم الحربية الطيبة الذكر !
- هو ذلك على قدر ما نعلم ، وإن كنت واثقاً أنهم أخطر شرذمة تعمل في الخفاء ثم راح يذرع حجرته جيئة وذهابا لبضع دقائق .. وأخيراً .. وقف أمامي ليقول في دهاء :
- لعلك استطعت إثبات التهمة على "جوزيه سافيلا" لأنك كنت على سابق اتفاق مع عصابة "كازينو" فتآمرت معها على وضع هذه المصيدة للرجل ودبرتما أن تستقل المرأة سيارتك بالذات ..
وبجهد كتمت الضحك في صدري لأنني كنت أعلم أن المفتش "دافيد سون" لا يقبل بسهولة أي معارضة لما يظنه أو يتوهمه .. ولما وجدني أخلد إلى الصمت تركني أذهب وخرجت من "سكتلانديارد" مزعزع الثقة بنفسي لأنني لم أستبعد - بعد إدامة التفكير - أن يكون "كازينو" الداهية قد هيأ للمرأة أن تستقل سيارتي عامداً أن أكون شاهداً على مصرعها بالطريقة التي تمت، ومضيت لفوري إلى مشرب (جركين) لأحتسي كأساً وأدخن قليلا قبل أن أعود إلى غرفتي وفيرانها ..
ومضيت أقلب في خاطري هذا الاتهام بأنني انضممت إلى عصابة "كازينو" !! ولم يغشني زهو ما لهذه التهمة التي أنا بريء منها ولم أسترح إلى مجرد تصور أن يكون "كازينو" الماكر قد جعل مني مخلب القط في اتهام "جوزيه سافيلا" ليتضاعف العداء بيني وبين أخيه ويتسنى تعاوني مع "كازينو" للقضاء على عدونا المشترك !!
ويقع مشرب (جركين) على ناصية شارع هادئ ولذلك كنت ارتاح

إليه كثيراً واقضي فيه اكثر امسياتي ، وكانت جلستي بالقرب من الباب ، ومضيت اشعل سيجارة ثم احتسي الشراب ، ولكنني عندما هممت بالانصراف مضيت إلى منصة الساقي وطلبت كاسين من الشراب ازدردتهما بسرعة .. ومالبثت أن سمعت صوتاً يخاطبني :

- لاداعي للعجلة ياسيدي !

فاستدرت لأجد فتاة ترتدي ثوباً اسود ويلتمع شعرها الأشقر ويتثنى قوامها الرشيق ، ولكني لم أشجعها بل قلت :

- آسف .. إنك تضيعين وقتك سدى معي لأن رصيدي في المصرف لايسمح بكماليات في هذه الأيام ..

فاقتنصتني بعينيها الساحرتين وقالت في هدوء :

- أنا لست من الكماليات يا مسيو "لوبين" .

وشعرت بما في مسلكي من مجافاة للفروسية والأريحية ، ولكنني آثرت أن أرد على التحدي الواضح في عينيها بعدم الإذعان للتقاليد وعدم الخضوع لفتنتها الطاغية فقلت متهكما :

- ولست في نظري من الضرورات لي كذلك !

بيد أنها قالت فيما يشبه الهمس :

- أنا من الزم اللزوميات لك إذا كانت بك رغبة في الحياة فمضيت ماخوذاً بعبارتها المهددة إلى منضدتي السابقة وأنا ادعوها قائلا :

- تعالي اجلسي .. ماذا تشربين ؟

- بعض الشراب بالليمون

فاشعلت سيجارة ثم قلت لها :

- والآن من انت ؟ وكيف عرفت اسمي ؟ ومن أرسلك لمقابلتي. وفي أي شان ؟

وكنت حانقا لوعيدها متحرقا على معرفة ماذا تعني بأنها ضرورية لبقائي حيا أرزق ولكنها ارتشفت من كاسها ثم قالت في هدوء عجيب:

- على رسلك ؟ سؤالا سؤالا ! ثم لماذا تحملق إلي هكذا ؟ إن اسم أرسين "لوبين" يعرفه كل إنسان .

والواقع انني تضايقت من لهجتها الساخرة خصوصا بعد أن

أكرمتها وجئتها بشراب الليمون . ويبدو أنها أدركت حنقي فعادت تقول :

- ألق عن كاهلك كل تبرم وابسط أساريرك فما سمعنا عن "لوبين" أنه يبالي بشيء ثم رشفت رشفة جديدة من شرابها واسترسلت تقول في رنة اللائمة :

- ظللت ثلاثة أيام أحاول مقابلتك ولكنك لم تأت أمس إلى هنا وكذلك أول أمس ..

قلت مزمجرا :

- كنت متوعكا .

فالتفتت حواليها ، ثم حنت رأسها ووضعت إصبعها القابع في قفازها على شفتيها القرمزيتين ثم قالت :

- خافت من صوتك ليتناسب مع توعكك !! وسوف أجعلك الآن تشعر بأن صحتك أحسن كثيراً .

- ولكن من أنت ؟

- من حقك فعلا أن تعرف ، أنا المرأة التي ستصبح بسببك أرملة .

قلت وقد تولاني الخجل :

- أتعنين أنك ... ؟

- نعم يا "لوبين" . أنا مسز "جوزيه سافيلا" ، لا تجزع فقد خلصتني من ذلك الوغد الحقير ، ولكنك وضعتني في مأزق يستدعي أن تعمل شيئا لإنقاذي منه .

فنهضت على قدمي أقول :

- أصغي إلي ! لقد كرهت كل شيء عن "جوزيه سافيلا" ولا أحب أن أعمل شيئا يتصل به من قريب أو بعيد .. طابت ليلتك .

ومضيت إلى الشارع ، ولكنها سرعان ما لحقت بي بعد دقيقة واحدة وعقباها يضربان في الأرض كأنهما صنج راقصة . وخاطبتني لائمة متذمرة .

- أنا لاأحب أن أشرب على عجل ، وإنه لمن الفظاظة أن تهرب هكذا من سيدة !

- أصغي إلي ..

ولكنها حملقت إلي بوجه صارم نافذ النظرات ثم اخرجت من حقيبتها مسدساً سددته إلى جنبي .. فقلت :

- ابعدي هذا الشيء ولا تكوني حمقاء !

ووقفنا على الرصيف لحظات يتفرس كل منا في الآخر .. ثم قالت :

- انا يائسة يا "لوبين" .. يائسة جداً .. وإذا لم تساعدني بعمل ما اطلبه منك فسوف أقتلك .

- ولماذا تطلبين ذلك مني بالذات ؟

- لأنك الوحيد الذي يستطيع أن يعمل ذلك من أجلي .

- ماهو (ذلك) الذي تعنينه ؟

- أن تجيئني بالسيارة التي ارتكب فيها "جوزيه" جريمته وكنت تسوقها يوم الحادث ...

فعصف بي الغضب وقلت :

- يالك من مجنونة ! لا يمكنني أن أفعل ذلك . فإن الشركة لا تعطيني السيارة التي أختارها بل التي تختارها هي ، وقد أصلحتها بعد الحادث ولم تخرجها بعد .. ثم لماذا تريدينها ؟

- لايهمك .. جئني بها فحسب .. لقد سمعت شهادتك في المحكمة وفهمت منها أن لك أصدقاء في الحظيرة ، فاستعن بهم في معاونتي اكن مدينة لك بالكثير بعد أن أصبحت مدينا لي بالكثير جداً كذلك .

- انا مدين لك ؟ كيف بالله ؟

- لقد جعلتني ارملة وسلبتني أختا .

- أختاً ؟ أتعنين أن "ماري فاريل" ، التي قتلها "جوزيه" ... ؟

- نعم "ماري" أختي .

- ولكن هذا لم يظهر في أثناء التحقيق !

فابتسمت ابتسامة واهنة وقالت :

- إن أشياء كثيرة لم تظهر في أثناء التحقيق ! جئني يا مسيو "لوبين" بهذه السيارة فإن فيها شيئا لا يعرف البوليس أنه بها ، ولكنني أعرفه ويهمني الحصول عليه .. عاوني وكف عن وساوسك من ناحيتي وقل لي كم يكلفني إرشاء حارس الحظيرة الليلي ؟

- خمسة جنيهات .

فاخرجت خمس ورقات مالية من حقيبتها ، ثم ورقة بيضاء وقلما لتكتب عليها عنوانا ، وقالت :

- جئني بالسيارة في منتصف العاشرة في هذا المكان يا "لوبين".. ومتى تحققت من العنوان أحرق الورقة .

ودفعت النقود والورقة في يدي ثم استدارت ومضت تضرب الأرض بعقبيها العاليين أسرع مما فعلت من قبل !

* * *

ولما طلبت إلى "شارلي ريس" - الحارس الليلي للحظيرة - أن يسلمني السيارة ، قال :

- أنت تعرف أن مدير الشركة يضع اسمي في القائمة السوداء ، فهل تريدني أعمل على إذكاء غضبه علي ؟

ولكنني كنت أعلم حاجته إلى النقود وشدة إسرافه ، فلما رأى الجنيهات الخمسة برقت عيناه وسال لعابه ، ثم قال :

- ستحافظ عليها جيدا يا "لوبين" ! أعني ...

فبادرت أطمئنه قائلا :

- لاتخش أي متاعب يا "شارلي" ، وتستطيع إذا حدث شيء أن تقول لمستر "باومان" إنني أوهمتك بانني استاذنته في أخذ سيارتي القديمة . ولاتنس أن السيارات جميعها مؤمن عليها .

ومازلت بالرجل حتى بددت مخاوفه ثم استقللت السيارة ومضيت أسابق بها الريح حتى إذا قطعت ربع ميل رحت أنحى على نفسي باللائمة لإقحامها في هذه الحماقة التي قد تدفعني دون أن أدري إلى العمل مع "كازينو" ، ولكن روح المغامرة كانت تذلل لي كل عقبة وتمهد لي كل طريق إلى المجازفات التي اتصيدها وانعم بخوضها مهما سببت لي من متاعب ! ولم أدر ما وراء هذه اللعبة التي ساقتني إليها مسز "جوزيه" العنيدة التي تنطق اساريرها بانها إذا أرادت شيئاً فلابد من إنفاذه وتحقيقه ! والواقع انها استطاعت ان تدفعني إلى مطاوعتها بإيهامي أن هناك حافزاً قويا لا تستطيع ان تغالبه . ولايعني هذا انني رثيت لحالها لانها ليست من النوع الذي يستحق

الرثاء أو يشعرك به بسهولة ، ولكن كانت لها قوة كامنة تغريك بالانصياع لها بلا تردد .. قوة مغناطيسية لاتقاوم .. وحفظت العنوان الذي أعطتنيه فاحرقت الورقة كما طلبت دون أن أحتاط لنفسي فاحتفظ بها لوقت حاجة تدعوني إلى تبريرمسلكي. ومضيت أردد العنوان في خاطري "بنسيون لارش" شارع افنيو بهايدبارك" وكنت أعرف أن هذا العنوان لايبعد كثيراً عن حديقة الحيوان وأعرف انه نال من ويلات القنابل في أثناء الحرب ما جعل مساكنه أشبه بأسنان العجوز ، وعبرت شارع "اكسفورد" ثم اتجهت شمال حديقة الحيوان إلى أن بلغت شارع ، أفنيو ووقفت بسيارتي أمام بنسيون لارش .. ويبدو انه كان يوما ما منزلا انيقاً ثم أهمل فاختنقت حديقته بالأعشاب البرية وانخلعت بواباته الحديدية ولطخت الأمطار جدرانه الخارجية وحطمت نوافذه الرياح حتى ليخيل للناظر إليه انه منزل مهجور أو أريد أن يبدو كذلك .

وما إن أطفات أنوار السيارة ثم هبطت إلى الباب ، حتى فتح قبل أن اقرعه او اضغط زره الكهربائي فادركت أن المرأة في انتظاري .
وسرعان ما ارتفع صوتها في الظلام يرتعش بالانفعال المكبوت :

– تعال لتعاونني على فتح باب الحظيرة وإدخال السيارة بها.

ورأيتني اتبعها إلى الخارج ثم إلى جانب من المنزل حيث توجد الحظيرة ، واضطررت إلى استخدام كتفي لأقوى على فتح بابي الحظيرة التي كانت خالية إلا من مقعد طويل وأكوام من القش والصحف القذرة . وعلى ضوء مشعل المرأة رأيت فاراً يثب خلف بعض الحقائب المطمورة تحت القش ولكنها لم ترتعد ولم تتحرك أو تصرخ بل قالت :

– حسناً .. هات السيارة يا"لوبين" .

فمضيت إلى السيارة وجئت بها إلى الحظيرة ، فقالت لي :

– دع الأنوار مضاءة وساعدني على إغلاق البابين .

ولما اقفلنا البابين وثبت إلى السيارة وجلست فيها بينما كنت أنا اتطلع إليها مشدوهاً ثم سألتها :

– علام تبحثين ؟

وانعكس الضوء من الجدران على عينيها المتقدتين وشعرها الذهبي وعنقها العاجي فاغتبطت بان اتاملها طويلا واتامل عينيها الجميلتين رغم انهما كانتا إذ ذاك تقدحان بالاهتمام . وكانت هي واثقة بسحر عينيها وثوقها من مواهبها ، ولذلك كانت بادية الاعتداد بنفسها .. قالت :

– لقد اخفت اختي شيئا في هذه السيارة يا"لوبين" واريد ان اعثر عليه .

فسالتها :

– وكيف تعرفين انها فعلت ذلك ؟

– لأن "نيد كازينو" ليس في السجن .. وأنت تعلم انك اقللت اختي في هذه السيارة من سانت بنكراس إلى فندق بيللا مونتانا في ميدان بدفورد فلما اقتربت منه وثب رجل على السيارة من الرصيف ، وقد قلت أنت في شهادتك بالمحكمة إنك سمعت راكبتك تقلب حقيبتها ثم تصرخ .

– هذا صحيح .

– ثم فتح الباب عنوة وقبل أن تهبط أنت عن عجلة القيادة كان "جوزيه" قد أطلق عليها ثلاث رصاصات وجرى يحمل حقيبتها في يسراه ويهددك بمسدسه في يمناه وبذلك أتيح لك أن ترى وجهه .

– هذا صحيح .

– فلو أن "جوزيه سافيلا" حصل على الأوراق التي كان يريدها من أختي لكان "نيد كازينو" ملقى الآن في ظلمات السجن .

– أتعنين أن أختك تعرفت على "جوزيه" عندما وثب من الرصيف فانتزعت الأوراق من الحقيبة وأخفتها في مكان ما بالسيارة ؟ أليس كذلك يا مسز ... ؟ ما اسمك لتغنيني عن مناداتك بمسز "سافيلا" ؟

– اسمي "جلوريا" ..

والواقع أن هذا الاسم الجميل كان يناسبها تماما . ثم استطردت تقول :

– أنا واثقة أن هذا قد حدث .. فقد قدمت أختي إلى لندن لتتجر مع "سافيلا" مخالفة بذلك نصائحي إذ قلت لها إن "مانويل سافيلا" سبق

أن قتل زوجها من قبل ولكنها لم تشأ أن تصدقني .
ومضت تبحث في أرجاء السيارة من الداخل وتحت الحشيات وخلال كل الثقوب والتمزقات التي تصادفها ولكنها لم تجد أثراً للأوراق ، وكلما انقضى الوقت ازددت شغفاً بذلك العمل .. وأخيراً قلت:
- لقد سبقك البوليس إلى البحث والتنقيب بلا جدوى .
فزوت ما بين حاجبيها وأخلدت إلى الصمت والوجوم .. وران علينا السكون المطبق إلا من حفيف القش كلما تواثب تحته الفأر... وفجأة سألتها
- ألم يدر برأسك أن أختك ربما أسقطت الأوراق خلف زجاج النافذة أو الباب ؟
فأسرعت إلى حقيبة أدوات السيارة ثم راحت تفك اللوح الزجاجي عن النافذة ثم مدت أصابعها في تلك الفجوة لتخرج الأوراق والدنيا لاتتسع لفرحتها !! وبهدوء توليت إعادة أدوات السيارة إلى مكانها تحت مقعد السواقة ثم عدت إليها وهي تتصفح الأوراق فقالت لي :
- لايهمك مابها يا"لوبين" .
ولم أشأ أن أجادلها فوقفت أمسح أصابعي بمنديلي حتى لايبدو لها أثر داخل السيارة ثم قلت :
- والآن سأعيدها إلى مكانها يا "جلوريا" .
ولكنها قالت والانفعال يشيع في نظراتها :
- لدي ما أريد أن تراه أولا يا"لوبين" أطفئ أنوار السيارة وتعال معي داخل المنزل .
وانصعت لها بقوة إرادتها وجمالها وحب الاستطلاع في نفسي، ومضيت معها نتبع نور مشعلها إلى خلف المنزل ثم هبطنا درجا إلى المطبخ الرطب ، وهناك أشارت إلى باب خفي كشفت عنه عندما سحبت جانبا ستارا سميكا باليا . وفتحت الباب وتبعتها فوق درج متسخ بين جدران نسجت عليها يد البلى خيوط العنكبوت ، وفي نهاية الدرج لمست زراً في الحائط فانفتح الجدار عن "كيلار" واسع يسبح في ضوء برتقالي .. وأمسكت بأنفاسي عندما شاهدت أكداساً من بالات الأقمشة،

وصناديق حاشدة بافخم انواع الروائح والمساحيق وجميع أدوات الزينة ، وعلباً كبيرة مملوءة بالشاي والسجائر، وغيرها مما لا يتصوره إنسان في بلد يعيش على البطاقات ! وادركت اي متاعب أحملق إليها، ولكنني حاولت أن اتظاهر بالاستخفاف وأن أبدد أثر المفاجأة في نفسي فقلت :

- من حسن الحظ أن لم تات الفئران على هذه الأشياء يا "جلوريا"..

وأدهشني أنها قالت باسمة :

- ولكنها توصلت إليها .. انا وانت هذه الفئران يا"لوبين" .

فقلت :

- ساكتفي منك بقبلة يا "جلوريا" ، ثم أذهب فاعيد السيارة إلى الحظيرة ، ولا أعود أفكر حتى في انني قابلتك .

فهزت راسها وقالت :

- وهل تتركني وحدي في هذه المرحلة يا"لوبين" ؟ لا اظنك تقدم على ذلك ..

- وأي دخل لي في هذا الشأن ؟ الم تنته مهمتي . ؟

- أتحسبني خطرة يا"لوبين" . ؟

- بل أشد خطراً مما تتوهمين .. سأحاول أن أنساك فحاولي بدورك أن تنسيني .

وخطفت قبلة من فمها القرمزي الحار ، ثم أسرعت أرقى الدرج قبل أن تنثني عزيمتي ، ولكنني ما إن بلغت نصف الدرج حتى شاهدت في الضوء ساقا تمتد وتبينت قدما كبيرة تسدد إلى وجهي! وحاولت أن أروغ منها فهوت على كتفي بقوة جعلتني أتدحرج على الدرج ، ثم سمعت صوتا أجش يصيح بـ "جلوريا" :

- ألقه يا امرأة وإلا ...

وارتطم ظهري بالأرض وشاهدت رجلا يرتدي معطفا ويمسك بإحدى يديه فوق القفاز مسدسا ضخما ، ثم رايت قبعته منحرفة على رأسه وتبينت عينيه تدوران في "الكيلار" بحذر ... وتوقف في منتصف الدرج ليستدير خلفه ويقول :

- تستطيعين أن تهبطي يا"ليل" .

ونهضت اتطلع إلى"جلوريا" وقد استلقى عند قدميها مسدسها الذي رمته من يدها مستسلمة .. وكانت تحملق إلى الزائر ، ثم رأيت نظراتها ترتفع وعينيها تتسعان في دهش فاستدرت لأرى شابة فاحمة الشعر سمراء اللون تهبط الدرج متبخترة كأنها (سندريلا) وهي تدخل عربتها البلورية الأنيقة ! وكانت عيناها واسعتين كقرصين كبيرين ..

وسرعان ما أزاحت الرجل جانبا ، ثم تقدمت نحو "جلوريا" وعلى فمها ابتسامة من النوع الذي يفلق الحجر الجرانيت فصاحت بها "جلوريا" كالنمرة الضارية :

- إن لك يا أختي العزيزة موهبة رائعة في العثور على الأشياء التي لم تكن ضائعة ولكنك ستندمين عليها يوما ما . !

وارتدت السمراء الجميلة خطوة إلى الخلف كأنما أخذت بذلك التهجم وتلك السخرية بينما تفرسني الرجل طويلا وأنا أنهض من كبوتي ثم صاح مبغوتا :

- هيا ؟ أنت "أرسين لوبين" .. السائق الذي شهد على "جوزيه"!

وقبل أن أفطن إلى نيته كان مسدسه يهوي بعنف على رأسي فترنحت وسقطت على الأرض والكيلار يدور حول عيني الزائغتين، ولكنني ظللت هادئا ووضعت يدي على وجهي أمسح الدماء باصابعي، بينما كانت أذناي تتنصتان فسمعت السمراء تقول للرجل:

- هون عليك يا "لاري" ولاتنس نفسك !

ولكن "لاري" العملاق وقف متصلب العضلات يحملق إلي بنظرة المتني أكثر من ضربته ثم قال معترضا :

- يجب أن أخلع له أسنانه فقد وشى بـ"جوزيه" ويستحق أن اقطع أذنيه !

وظللت على الأرض مؤثرا الا أتعرض من جديد لاعتداء ذلك الوغد الذي عاد يصيح بي :

- قم .. انهض .. أيها السائق !!

واضطررت أن أقف على قدمي في حذر وعلى بعد يقرب من المترين منه وسرعان ماجذبتني السمراء المرحة الأعطاف بيدها الناعمة ، فرحت أتامل جمالها كما أتامل صورة حسناء على علبة شوكولاته.

ورايت في أغوار عينيها الحالكتين سحراً يلتمع وجاذبية تتالق ... إلى أن قالت :

- لقد تساءلت كثيراً يا "لوبين" عن سر تطفلك ووشايتك باخي زوجي . أتعتقد أن "جلوريا" جديرة بأن تقحمك هكذا ؟!

وكان كلامها معسولا رغم مرارته ، فقلت :

- انا لا أدري ماذا تعنين وعم تتكلمين !

فافترت شفتاها عن أسنان ناصعة ثم هزت كتفيها . ونفذت في أنفي رائحة العطر الغالي الذي يفوح منها ولا يمكن أن يوجد له مثيل في الأسواق العادية ، ثم أنشأت تقول :

- انا أتكلم عنك وعن "جلوريا" . والواقع انني لاادري لماذا تزوجت "جوزيه" ولكنني أظن ذلك كان نكاية بـ"نيد كازينو"

ورنوت إلى "جلوريا" فوجدتها هادئة الأسارير مبهمة التعابير .. واسترسلت السمراء تقول :

- أما لماذا تزوجت أنا "مانويل سافيلا" فلكي أغيظ "جوزيه" أخاه .

وتأملت "لاري" العملاق ثم استطردت تقول :

إن "لاري" ولد طيب يفعل كل ما أمره به ويعني بي عند الحاجة.

وأدركت مبلغ حقد كل من المرأتين على الأخرى لأسباب على اختلافها متشابهة

وظل "لاري" يتفرسني بعيني خنزير ، بينما قالت "جلوريا" تسأل السمراء :

- وماذا يقول "مانويل" عندما يكتشف الحقيقة وانك تجرين خلفك "لاري" على الدوام ؟

فصاحت بها :

- أأنت التي تتكلمين عني يا قذرة ! لقد أفسدت ما بيني وبين "جوزيه" ، وهاهي ذي فرصتي للانتقام . لقد ظل "لاري" يتأثر خطاك حتى دهمناك الليلة .. في الوقت المناسب !

ثم تطلعت حواليها في الكيلار وعادت تقول :

- أهذا أحد مخازن "جوزيه" الخاصة ؟ لقد احتفظت به لنفسك واتفقت مع "ارسين لوبين" على تصريف ما به .. "ارسين لوبين" الذي

دبر مقتل أختك بان أقلها إلى حيث كان "جوزيه" في انتظارها !!

ورنوت إلى "جلوريا" فرأيتها تطرق إلى الأرض كأنما يساورها الشك في الدور الذي لعبته في مصرع أختها . وسرعان ما قالت السمراء الجميلة :

- حسنا يا "لاري" فلنذهب بهما ورفع "لاري" مسدسه ثم قذفني بنظرة عدائية حانقة وصاح :

- ألم تسمع ؟ هيا أمامي !

وتقدمت "جلوريا" بضع خطوات نحو الدرج ، ثم توقفت تسأل:

- ما فكرتك يا "ليلان" ؟

فضحكت الحنطية اللون ، ثم قالت ساخرة :

- سترين ... وقد تحسين وتخمنين .

وارتقت "جلوريا" الدرج وأنا من خلفها ثم "لاري" مسدداً مسدسه في ظهري ..

ومالبث أن قال لـ "جلوريا" :

- لاتجري أيتها السيدة إذا أردت ألا يصيب "لوبين" ثقب في ظهره..

فتمهلت "جلوريا".. ثم وقفت في المطبخ تتلفت حواليها في اكتئاب بينما كنت أخرج من المدخل الخفي ... واعتزمت أكثر من مرة أن أركل "لاري" بقدمي ركلة تحطم وجهه الدميم ، ولكنني لم أكن واثقاً بجدوى ذلك فاقصيت ذلك الإغراء . وصعدت السمراء (ليل) وهي تبطئ في سيرها ثم دفعت الباب الخفي بقدمها فانصفق بصوت عال وارتفعت منه سحابة من الغبار وسحب "لاري" الستار المشمع البالي فوق الباب ثم نصب قامته وسأل وهو يشير بقدمه إلى الكيلار :

- من الذي زود "جوزيه" بكل هذه البضائع ؟

وظننته يحدث "جلوريا" ، ولكني تحققت من خطئي عندما لكز أذني اليسرى وقال :

- أنا أسألك أنت !

فقد كان رجلا لا يحب أن يكرر كلامه .. فبادرت "جلوريا" تجيبه قائلة :

- إن "لوبين" لا يعرف شيئا عنها .

فرنا إلى "ليل" وقال :

- لا يعرف ؟!

وسألته (ليل) ماذا خطر بباله ، فقال لها :

- إذن نستطيع أن نتصرف فيها دون إزعاج "مانويل" ، فهو مشغول جداً كما تعلمين

- وهل تقوى وحدك على ذلك يا "لاري" ؟

فأومأ برأسه وقال :

- بالاستعانة بعصابة "فنزبوري" إذ تستطيع أن تنقلها إلى برمنجهام أو مانشستر أو كار ديف .. ثم .. ألا يحتمل انها تعلم عن مخابئ أخرى لـ"جوزيه" يمكن أن تتصرف فيها كذلك ؟ إنه مدين لك بالكثير .

- أوه .. دعك ممن يدينون لي أو أدين لهم ! إن فكرتك لا بأس بها فحسب ، ولكن ألا يحتمل أن يرجأ التنفيذ في "جوزيه" .. ؟

- هذا مستحيل لأن "أرسين لوبين" قد أدانه بمالا يقبل أي شك.

فقالت "جلوريا" :

- وإذا قابله "مانويل" فاخبره ؟

فحملقت إليها السمراء وقالت :

- من السهل أن نحمله على الاعتقاد بأنك أنت التي تصرفت في كل شيء وابتسم "لاري" ابتسامة بغيضة وقال :

- يالك من فتاة رائعة يا (ليل) ! ولكن يجب أن نتخلص من هذين الاثنين ..

فما رأيك في أن نجعلهما يظهران بمظهر المنتحرين وخصوصاً أن حوادث المنتحرين غدت (موضة) جديدة في هذه الأيام : سيارة في طريق ريفي .. وجثتان .. ومسدس في يد الرجل.. هذا كل ما يتطلبه الأمر !

- كلا .. كلا .. لقد حاول "جوزيه" أن يلعب هذه اللعبة فكان نصيبها الفشل والوبال .

- آه .. ولكن "جوزيه" كان مهملا فترك "لوبين" يتكلم .

- كلا .. كلا .. لناخذهما معنا .

- وماذا تنوين العمل بهما يا (ليل) ؟ وإلى أين آخذهما ؟

- سوف تترك لـ"مانويل" تقرير مصيرهما بعد ان نتخلص نحن من هذه البضائع .. سنتركهما ليوم أو بعض يوم في متجر شارع باك أي إلى أن تطهر لنا عصابة "فينزبوري" المكان مما فيه .

ولا باس أن نقدم لـ"مانويل" هدية رائعة .. هي "لوبين" ! أما "جلوريا" فسوف يكون لها معه شان لأنه كما تعلم يكره أن تعاديه الشقراوات !!

فرأيت "جلوريا" ترتعد .. ولم ير"لاري" أن يجادلها طويلا لانه تلقى الرد ، فمضى إلى الباب الخلفي وفتحه ، فإذا بالهواء البارد يهب إلى المطبخ وإذا بصوت مجلجل حاد ينبعث فجاة ، وإذا بالعملاق "لاري" يصيح بالألم والمفاجاة ويسقط مسدسه على الأرض !! وصاح يقرض على أسنانه بالغضب :

الفصل الثالث

وقدم "كازينو" يرتدي معطفا متسخا ويمسك في يمناه مسدسا من النوع الصامت الذي لايسمع لطلقاته دوي .. ومن خلفه ثلاثة أشباح أخرى .. عرفت منها شبحي "ستيف" و "فريد"، وظل الثالث غريبا عني إلى أن تحدث إلى "نيد" قائلا :

- يبدو أننا جئنا في الوقت المناسب !

فأدركت من لهجته أنه الأمريكي "هانك برودسون" الذي اشترك مع "نيد كازينو" في موقعة دييب ، وكانت عيناه حادتين ثاقبتين ، ولكن فمه كان مسترخياً ناعماً رقيقاً كفم طفل صغير .. يبتسم لأتفه باعث أو لغير سبب ظاهر . ومالبث "نيد" أن خاطبه قائلا :

- إليك مسيو "أرسين لوبين" يا "هانك" .

فأومأ برأسه إلي وقال لي :

- سمعت أنك انضممت إلينا يا "لوبين" ؟

فتطلعت إلى "كازينو" لأجده يتحداني في جرأة أن أنكر هذه التهمة ، فلم أعترض بل راقبت "هنري ستيف" وهو يتقدم نحو "لاري" ثم يكيل له أعنف الصفعات بينما وقف "فريد" بالقرب من الباب ويداه في جيبي معطفه . وسرعان ما تبينت أن "كازينو" و"جلوريا" يتطلع كل منهما إلى الآخر ويتبادلان حديث العيون الذي تقصر عنه الألسنة ! ولم يفيقا من وجومهما الزاخر بشتى الانفعالات إلا عندما قالت "ليل" ساخرة :

- لماذا لايلتهم كل منكما الآخر ؟!

وإذ ذاك قال "كازينو" :

- أدخلهما السيارة يا "فريد" وقل لـ "هاري" أن يضبط نفسه ، وسوف نتبعكم : "هانك" وأنا، في سيارة "لوبين" فقد أحسن بإحضارها .

ورأيت المرأتين و"لاري" يخرجون إلى الظلام ثم يستقلون السيارة ، ثم قال لي "ستيف" :

- أخرج السيارة من الحظيرة .

وما إن فعلت حتى ركب "كازينو" ورفيقاه وأهاب بي "ستيف" أن أتبع زميله "هاري" الذي كان يقود السيارة الأمريكية الكبيرة في غير ماعجلة. وعبرنا لندن بأحيائها الكبيرة التي دمرتها الغارات شر تدمير . ولم ينطق الراكبون خلفي بحرف إلى أن انحدرت جانباً في طريق "وست انيد" فصاح بي "كازينو" :

- اطفئ أنوارك يا "لوبين" .

وامتثلت لأمره كأنني أحد صبيانه . وعاد بعد لحظات يقول :

- قف هنا . هذا يكفي .

وهبطنا فمضى "ستيف" إلى السيارة الأمامية وعاد بشيء مثبت على أذنيه ومتصل بصندوق مربع أمامه برز منه عود رفيع من الصلب أخذ يهتز كلما تحرك . ورأيت "فريد" يحمل مثل ذلك الشيء . فسألت : أي نزهة هذه ؟ ماحاجتكم إلى أجهزة الإذاعة هذه ؟

فالتفت "نيد" إلي وقال لي باسما :

- نحن نجاري الزمن ونتمشى مع العصر يا "لوبين" . وهذه آخر الوسائل لتحاشي رجال البوليس .

وفتحنا نافذة جانبية لأحد المصانع فأسرع "نيد" يتسلقها ثم غادرنا لبضع لحظات عاد بعدها من باب دعانا إلى الدخول منه . وتقدمنا "برودسون" الأمريكي وهو يحمل مشعلا مظللا كأنما يعرف الطريق جيداً . وليس ثمة داع للعجب لأنه كان يحمل صورة تخطيطية للمصنع ومن خلفه سار "فريد" ثم المرأة ثم "لاري" وبقيتنا دون أن ينبس أحد منا ببنت شفة ..

وكانت مهمتنا أشبه بمهمة الكوماندو .. وتطلعت إلى وجه "نيد" فالقيته شاحبا لاينم عن شيء وإن رأيته يمشي بخطوات رشيقة تدل على مبلغ اغتباطه لهذه المهمة . ونظرت إلى المرأتين فوجدتهما تسيران معاً صامتتين أشبه بشبحين على ستارة وكأنهما تتحركان بلا حياة ومن خلفهما "لاري" الضخم يضع منديله على يده اليمنى المخضبة بالدماء ...أما وجهه فكان مختفياً تحت ظل قبعته العريضة الحافة . وكان يجر ساقيه جر المكدود الذي يرهقه التعب بينما كان يرتجف من المسدس الذي يحمله "كازينو" في يده .

وبلغنا دهليزاً طويلا حجريا ثم دخلنا من باب خشبي عال إلى درج متاكل هبطنا عليه دون أن ينبعث وقع إلا من قدمي واقدام المراتين لان الرجال الآخرين كانوا ينتعلون احذية من المطاط . وتنقلنا بين صناديق عالية تصل إلى السقف المظلم ... واخيراً فتح "فريد" باباً آخر لنهبط درجا آخر خلفه ثم نسير خلال دهليز طويل ادركت من رطوبته اننا غدونا تحت مستوى النهر أو عند رصيف ميناء على البحر . وفي نهاية الدهليز وجدنا باباً مواربا ورأينا بصيصا من النور ، فركل "فريد" الباب بقدمه ثم غمغم ببضع كلمات إلى "ستيف" خلال مكبر الراديو «الميكروفون» ، واحتشدنا أشبه بحزمة لنحملق إلى ما كان في وسط الحجرة أمامنا . فشاهدنا حارس الليل مقيدا إلي مقعد وقد كمم فمه ! وكنت أظن "كازينو" قد احكم خطته فإذا بي أفاجأ بدوري بأن إنساناً سبقه وانتصر عليه ... إنساناً جاء قبله إلى هنا.. وارتجفت أوصالي خشية أن يكون رجال البوليس هم الذين سبقونا إلى هذا المكان ، وشاهد "كازينو" رعدتي فقال لي ساخراً:

– هون عليك يا "لوبين" ولاتجعل عرقك يتصبب فتصاب في هذه الساعة ببرد !

وتطلع إلى ساعته ثم قال :

– سيتصل بنا "برت" بعد ثلاث دقائق ... تقريبا .

وتقدم ""برودسون"" الأمريكي إلى الحارس الليلي يتحس حباله ثم قال :

– هذا عمل هواة يا "نيد" لايجوز حتى على رجال البوليس ولايمكن أن يجوز علينا نحن !!

وسمعت "لاري" يغمغم ببضع كلمات مبهمة وقد برقت عيناه برعب لايعدل ما غشيه عندما فوجئ برؤية "كازينو" في بنسيون لارش ! ومضى "كازينو" إلى الحارس الليلي وانحنى عليه ثم راح يتامل وجهه مليا .. كان وجها قذرا تتوسطه عينان صغيرتان تمتلئان بالرعب وقد نما شعر لحيته .. وارتفع صوت "كازينو" يقول :

– أنت "بيتر رولنجز" وإياك أن تضيف شيئا إلى روايتك لرجال البوليس التي اتفقتم عليها ، واحذر أن تذكر أسماء أو شيئا غير ما

تدربت عليه مع أعوان "سافيلا" .

فارتعدت أوصال الحارس وتولته غصة كادت تخنقه عندما تأمل المسدس في يمنى "كازينو" مسددا إلى رأسه فاطرق يائساً إلى الأرض . وفي تلك اللحظة رن جرس التليفون وأشار "فريد" إلى مكانه على منضدة خلف أكداس الصناديق ، فمضى إليه "بروDسون" ورفع سماعته ، وتكلم هامسا بحيث لم نسمع شيئا مما قاله ..ولما أعاد السماعة إلى مكانها عاد يقول في بطء :

– إن "برت" والأولاد اقتنصوا اللوريين ، عربتي نقل "سافيلا" ، عند المنحنى الأيسر لنهاية شارع باك، وكل شيء على مايرام تبعا للخطة المرسومة ..

فأخرج الأمريكي من جيب معطفه مفتاحا كبيراً بصامولة ناوله لـ"كازينو" الذي قدمه بدوره إلى "لاري" قائلا :

– خذ هذا المفتاح .. كلا .. بيدك اليمنى .. أزل هذه الضمادات!

ولم ترق المهمة لـ"لاري"، والقى نظرة إلى "ليل" ولكنها كانت عابسة متجهمة الأسارير بادية الحيرة والارتباك وهي تتأمل "كازينو" وتكاد تمزقه بنظراتها.. وتطلعت بدوري إلى الشقراء فوجدتها واقفة في مكانها منتصبة القامة تحاول أن تستسلم لما يدور أمامها وأن تبدد الخوف الذي يستبد بها . وببطء .. خلع "لاري" منديله عن يمناه ، ثم أمسك المفتاح بقوة آلمته ... وأشار "كازينو" إلى "رولنجز" ثم قال :

– اضربه يا "لاري" على جانب رأسه .. اضربه ولو أنه من رجالكم .

ولكن "لاري" صاح حانقا راعداً :

– إن بضماتي ستكون على هذا المفتاح ذي الصامولة اللعين؟

فاقترب منه "ستيف" وخاطبه ساخراً :

– يبدو أن نوبة من الذكاء قد اجترفتك فجاة أيها الوغد .

وتراجع "لاري" مذعوراً وهو يصيح :

– كلا .. كلا .. هذا فخ منصوب لإعدامي .ولم ذاك ؟ صاح فيه "برودسون" الأمريكي قائلا :

– إما أن تفعل هذا أو نطلق على رأسك رصاصة من مسدسك، ثم يعثر عليك البوليس ويتشفى "سافيلا" عندما يدرك انك جررت مسز

"سافيلا" إلى هنا لتنقذ جلدك .

ورأيت السمراء ترتجف ، وارتفعت يد "لاري" تمسح فمه المرتعش وتلطخ أنفه بالدم ثم تأمل الحارس الليلي الموثق لحظة أفاق بعدها إلى صوت "كازينو" الساخر يقول"

- إن "سافيلا" لايعرف الطريقة التي تتبعها في ملازمة "ليلان" كظلها، ففكر جيداً فيما يعتقده عندما يجد العربتين الحاشدتين بالأقمشة والراديوات المعدة للتصدير لم تصلا إلى مخازن شارع باك ، ثم يجدك هنا مصابا برصاصة من مسدسك ! ماذا تظن "ليل" تستطيع أن تقوله لتنقذ جلدك ؟

فعصف الغضب بالسمراء وقالت ضارعة :

- لاتصغ إليه يا "لاري" هذا غير صحيح .. هذه لعبة قذرة إياك أن تتورط فيها !

وعندما سألها :

- كيف .. ؟

ازدادت غضبا وصاحت فيه :

- أتصدقني أو لا تصدقني ؟!

فلعق شفتيه بادي الغباء ثم تقدم إلى الرجل الموثق . وحاول "رولنجز" أن يلوي رأسه بعيداً عن الأذى ولكنه بذلك أتاح هدفا كافيا للرجل الذي أهوى عليه ثم ألقى المفتاح على الأرض . ولم أبعد عيني ولم أتألم كأنني أشاهد (فيلما) سينمائيا لأن كل تفكيري كان منصبا في أننا بلغنا ذروة المغامرة الليلية العجيبة .. وإن كنت وجدتني بعيدا عن مسرحها كأنني أشاهد خلال ستارة غير مرئية أولئك الآخرين وهم ينصاعون إلى غرائزهم ودوافعهم التي لاصلة لي بها على الإطلاق .. أو هكذا خيل لي أن وجدت يد "جلوريا" تتشبث بذراعي ورأيتها ترنو إلي بعينيها البنفسجيتين وتقول :

- لاحق لهم يا "لوبين" في أن يفعلوا هكذا معك !!

ولم أدر ماذا كانت تعنيه بل لم أقو على البدء في التفكير فيما تهدف إليه قبل أن يتقدم إليها "كازينو" ويخاطبها في برود :

- في وسع "لوبين" أن يقرر ما يروق له فلا تحاولي إرشاده أيضا .

وحرت قليلا ثم ومضت بخاطري الكلمات التي دارت بين المراتين في كيلار البنسيون وتذكرت كذلك أن "جلوريا" تحتفظ معها بالأوراق التي عثرت عليها في السيارة . وكان محتملا ان اقول شيئا لولا انها ظلت ترمقني بعينيها البنفسجيتين في رقة تفيض بكثير من المعاني ثم قالت :

- عد بي يا "لوبين" واعد سيارتك فلا أريد أن أجلب عليك المتاعب بسببي .

وتصنعت أن تبدو كلماتها خالصة رغم ما كان يكلفها ذلك تحت سمع ونظر "كازينو" الذي قال لي برنة الأمر :

- انزلها يا "لوبين" عند هايدبارك ثم أعد سيارتك واذهب إلى مشرب جوني وابق به حتى يوافيك "هاري" . وابتعد عن شارع أفينو متذكراً ما جرى للقطة بسبب حب الاستطلاع !

فقلت :

- حسناً .

والقيت إلى الحارس الليلي نظرة عاجلة تبينت منها ان جلد رأسه مفتوح وتنبثق منه الدماء .. وسار "ستيف" بي وبـ"جلوريا" إلى السيارة .. وعندما اتخذت مكاني خلف عجلة القيادة سمعته يهمهم ببضع كلمات في مذياعه ،واسرعت انهب الطريق بعد أحداث بضع ساعات مروعة ..

* * *

وقبيل بلوغي هايد بارك دقت "جلوريا" على الحاجز الزجاجي فابطات في السير ثم توقفت وإذا بها تدفع إلي في الظلام قصاصة من الورق وهي تقول في صوت شائق رقيق :

- اتصل بي تليفونياً بعد يومين يا "لوبين" بهذا الرقم فقد أحتاج إلى معونتك فقلت :

- ولكنني لست في مركز يسمح بان ...

ولكنها أجابتني ضارعة وهي منحنية إلى الامام لانني شممت شذا عطرها :

- لاتقل الآن شيئاً يا "لوبين" .. ولا تفكر كثيراً ..

- ولكنك و"كازينو" ...

- كلا .. كلا .. ليس من العدل أن تسالني الآن يا "لوبين" .

ورغم ذلك ازددت غضباً وبدات انتقي فيضاً من كلمات الاحتقار التي يمكن ان تلدغها ولكنها ابتدرتني قائلة :

- من الخطر أن يعصف بك الغضب بلا داع حقيقي .

ثم التقتطت انفاسها كأنما يؤلمها الحديث ، ثم قالت ضارعة :

- ارجوك أن تفعل ما أطلبه منك يا "لوبين" .

واندفعت إلى هايدبارك حيث هبطت دون أن تنطق بحرف ، وظللت أرمقها وهي تعبر الطريق وقد الهبت راسي الشكوك ممتزجة بخيوط من الأمل .. حتى إذا اختفت عن ناظري ، مضيت إلى الحظيرة حيث اودعت السيارة . ولم أجد "شارلي ريس"هناك .

فتناول مني أحد العمال السيارة دون أن ينطق بحرف مكتفياً بأن يصعدني بنظرة عابرة لحسن الحظ .

واشعلت سيجارة ثم ذهبت إلى مشرب جوني ، وما إن فرغت من فنجان قهوتي الثاني حتى فتح الباب الزجاجي وظهر من خلفه "هاري".. وقدم ليجلس بجانبي ثم طلب لنفسه فنجان قهوة، وأخرج علبة سجائره وقال لي من فوق لهيب قداحته بركن من فمه:

- سوف تقض مغامرة الليلة مضجع "مانويل" الذي أراد أن يسخر بنا ففوتنا غرضه عليه ..

فسألته :

- وكيف عرف "نيد كازينو" بغارة البنسيون ؟

وكان يتناول فنجان قهوته من الساقي ويطلب (شطيرة) .. فلما انصرف الرجل قضم ملء فمه من الشطيرة ثم قال ساخرا :

- يجب أن تجيد ما هو خير من إلقاء الأسئلة السخيفة !

وحرص على أن يحمل عبارته رنة المباسطة والصداقة ، ولكنني لمست رنة التحذير خلف هذه الصداقة وعولت على ان أكون حريصاً مادام أعوان "كازينو" ليسوا من النوع الذي تنساب منهم الكلمات في ساعات الفراغ بسهولة ، ومادموا يتشككون في كل إنسان .. فطلبت

شطيرة بدوري حتى إذا التهمتها مضينا إلى ميدان ليشستر حيث كانت سيارة صغيرة في انتظارنا ، وتولى هو قيادتها إلى شارع خلف محطة فكتوريا وهناك أودعها حظيرة ثم تقدمني إلى منزل كبير يتصدره عمودان ضخمان .. وفتح الباب بمفتاح (سقاطة) ثم ارتقينا درجا قاتما إلى أن بلغنا بسطة واسعة فتح عندها بابا آخر وهو يقول :

- يمكن أن تسمي هذا منزلا لبضع ليال يا "لوبين" .

وتاملني ونحن داخلان إلى الغرفة ليرى مبلغ ارتياحي إليها ، ولكني رحت اتلفت في أنحائها ، وكانت تضم فراشين متماثلين كانهما توءمان ومائدة وبضعة مقاعد .. وكان اثاثها قديما ولكنه ثمين تتوفر فيه أسباب الراحة . وقلت في حذر :

- ماذا لو أن "رولنجز" لم يوضح أن "سافيلا" قد هيا تلك الغارة واصر على الإنكار ؟

فقاطعني قائلا وهو يغوص في أحد المقاعد :

- لن يحدث هذا ..

- وإذا حدث ؟ ألا يعتقد البوليس إذ ذاك أن "كازينو" مسؤول عن ...

فقال وهو يرمقني بعينيه ويخلع حذاءه بيديه :

- لن يقووا على إثبات شيء على "نيد" .

- وسوف لا يعثرون علي في غرفتي فيعتقدون أنني مختبئ وربما ساورتهم افكار اخرى ...

وصمت لأنني أيقنت أن ما ارمي إليه لم يتجل تماماً فيما قلته ، إذ بدا الضيق على"هاري" وقال :

- إن "نيد" لا يحب المتشائمين ويحسن أن تدعه يرتب كل شيء حسبا يراه مادمت قد انضممت تحت لوائه .

ولكنني غمغمت قائلا :

- أنا لم اوافق على الانضمام تحت ذلك (اللواء)

- كذا ؟ ولكن ذلك يضمن لك عملا جديداً .

- اهو سواقة سيارة اعماله ، بينما تمضي أنت تقود سيارة ذلك

الأمريكي؟

- لاأظنه اختارك من بين الناس جميعا لهذا العمل وإنما لا شك لسبب آخر وسرعان ما تجاهلني ليأوي إلى فراشه ويسلم عينيه للنوم وفي الصباح تناولنا فطورا خفيفا كان "هاري" قد أعده قبل أن أستيقظ في الساعة الثامنة .. وبعد ساعة كنا في المكاتب خلف سوق شبرد حيث أعطاني "ستيف" عشرة جنيهات وعنوانا أذهب إليه بعد الغداء . فلما تنزهت على قدمي ساعتين مضيت إلى المشرب لأحتسي قدحا من القهوة وجاءني هناك فتحدثنا بعض الوقت وطالعنا في الصحف خبر سطو الليلة السابقة ونشاط سكوتلانديارد في البحث عن المشتغلين بالسوق السوداء! وأدركت أن حريتي لن يطول أمدها وقرأ "فريد" مايجيش بخاطري فقال:

- لاتشغل بالك واترك كل شيء للحاكم .. "نيد كازينو" .

وخرجت أتسكع قليلا إلى أن حان موعد الغداء فتناولته بشهوة فاترة ، ثم مضيت إلى العنوان الذي أعطانيه "ستيف" لأجده محل خياط للرجال . واستقبلني في الداخل رجل قصير القامة معسول الألفاظ منمق العبارات .. ولما افضيت إليه بسبب مقدمي ابتسم في وجهي ابتسامة عريضة وبالغ في الترحيب بي وهو يقول . :

- لاشك أنك مستر "ارسين لوبين" . تعال إلى الداخل .. تفضل.

وقادني إلى حجرة داخلية ثم راح يخلع عني سترتي وصداري ثم ياقتي ورباط رقبتي ليقيس لي بذلة جديدة وهو يدندن مغتبطا كانما يؤدي مهمة حبيبة إلى نفسه ! ولم أشأ أن أفاجئه بأنني لا أملك سوى عشرة جنيهات إلى أن زودني بقميص ورباط وبذلة من أجود الأنواع فقلت :

- هذا رائع جداً ولكنهم لم يعطوني ما يكفي من النقود لكل هذه الأبهة !

فحملق إليّ لحظة كانما ارعبته بحديثي ، ثم لوح بيده وراح يقضم أطراف شاربه الكث في قلق أزعجني ، ولكنه مالبث أن حدثني ضارعا :

- أرجوك .. ارجوك الا تذكر النقود فانت قادم من عند "نيد" .. "نيد" الذي يرجع إليه وحده الفضل في انتشالي من وهدتي عندما كسدت

سوقي ولم أجد متراً واحداً من القماش . إن ما أقدمه له ولرجاله لايعدل ذرة من أياديه البيضاء علي وعلى أمثالي .

ولم أدر بماذا أجيب ، فاطبقت فمي ورحت أتامل نفسي في المرآة وقد عدت مرة أخرى "أرسين لوبين" الذي كثيراً ماغزا قلوب النساء في باريس ولندن وغيرهما من العواصم . وعدت إلى المكاتب خلف سوق شبرد وأنا أحس بانني أشبه بشحاذ ببغداد قابل "هارون الرشيد" في عصر أحد الأيام فخلع عليه من ملابسه وكرمه ما خلق منه شخصا جديدا يخلب الأبصار والألباب !

وجعل "ستيف" يصعدني بنظراته ، ثم قابلت "برودسون" فبرقت عيناه إعجابا بي .. وبمظهري الذي ردني عشر سنوات إلى الوراء. وقال لي رجل قصير لم أره من قبل إن "كازينو" يرغب في مقابلتي ، فمضيت لأجده جالسا إلى مكتبه ، وبعد أن رنا إلي باسماً دعاني في رفق وتودد إلى أن أجلس ثم قدم لي علبة سجائره ، فجلست واشعلت سيجارة رحت أنفث دخانها لحظات دون أن نتبادل الحديث . وأخيرا سألني :

- ماذا يقلقك يا "لوبين" ؟

فقلت متجاهلا " أهناك حقا ما يقلقني ؟

ولما أومأ برأسه إيجابا قلت :

- هل أخبرك "هاري" بشيء ؟

- نعم .. ولتكن صريحاً معي فعهدي بك الجرأة والإفصاح علانية عما يجيش في نفسك .

- لقد أخبرتني بالأمس أنك تريدني على أن أعمل معك وقد فكرت جيداً في السبب !

وانتهيت إلى نتيجة واحدة وهي أن السبب الذي أفضيت به إليّ غير حقيقي

- وهل اهتديت إلي السبب الحقيقي ؟

فشعرت بغصة في حلقي سرعان ما تغلبت عليها وقلت في بطء:

- الذي فهمته أنك أردت العثور علي قبل مسز "جلوريا" .. هذا هو السبب .

فضاقت عيناه وانفاسه ثم غمغم :

- هيا استمر .. تكلم .

- لقد اخبرتني مسز "جلوريا" أنها ظلت تبحث عني عدة أيام إلى أن عثرت علي ولكنك وجدتني قبلها وكنت تعلم برغبتها في الاتصال بي فسبقتها إلى ذلك ليكون زمامي في يدك يا"كازينو".

فابتسم واضطجع بظهره على مقعده ثم قال :

- إما انك تحاول تحليل شخصيتي يا "لوبين" وإما انك تحاول فقط أن تخلق لي بخيالك شخصية جديدة .

- اتريد أن تقول إنني واهم ؟

- لنفترض انك لست واهما وانك نجحت في تحليل شخصيتي فماذا بان لك ؟

- بان لي انك تحب "جلوريا سافيلا" .

- أتعرف من هي ؟

- أعرف انها زوجة "جوزيه" واخت المراة التي قتلت في سيارتي . واعتقد انك كنت لديها شيئا مهما قبل زواجها من "سافيلا" .

- شيئا مهما ؟ ماذا تعني ؟

وشعرت من حديثه المتهدج وأنفاسه المبهورة انه يناضل انفعالاته الدفينة فقلت متغابيا :

- لاادري بالضبط .. لاادري سوى انك كنت تهمها كثيرا .

- إنك رائع في الاستنتاج والاستدلال يا "لوبين" فما رايك الشخصي؟

فقلت وانا اخافت من صوتي :

- اظنك كنت تحبها يا "كازينو" وانها كانت تحبك ، بل لعل كلامنكما لايزال مغرما بالآخر ورايت قبضتيه تشتدان وظل صامتا إلى ان تراخت عضلاته المتوترة ثم سالني :

- وماذا يحملك على هذا الظن يا "لوبين" ؟

فاجبته وانا مازلت أتخير الألفاظ وأنتقي العبارات :

- رغبتها في الا تذهب إلى السجن .

فنهض عن مقعده واستدار إلى النافذة بحيث لا استطيع رؤية

وجهه وما يعتمل في اساريره . وظل واقفا هناك وهو يوليني ظهره ويحملق إلى الشارع تحته . وطال وقوفه حتى حسبته قد نسيني ولكنه خاطبني أخيراً دون أن يستدير وينظر إلي :

- أأنت الذي اختارته ليحذرني وينذرني يا "لوبين" ؟

قلت صادقا :

- لاأدري سوى انها طلبت إلي أن أعاونها في تصريف البضائع المختزنة في بنسيون لارش .

فزمجر قائلا :

- إن هذا المخزن أحد مايعده "جوزيه" للأيام العصيبة ؟

قلت :

- إنها في خطر داهم من "مانويل" ولعلك خمنت مبلغ الكراهية التي تحملها لها تلك السمراء عاشقة "لاري فينكس" .

فاستدار نحوي يتفرسني ثم اخذ يطيل تفرسه كانما يستشف ما يدور براسي وأخيراً قال :

- إن المنزل المسمى بنسيون لارش قد جرد تماما يا "لوبين" من بضائعه .

- إذن ...

- ولكنه لم يدعني أتم حديثي بل أشار إلي أن التزم الصمت ثم استطرد يقول :

- كلا .. إن أعواني قاموا بالعمل جيداً ولن يتكلم "لاري" لأن المفتاح الذي ضرب به الحارس الليلي مأخوذ من سيارته التي أوقفها في طريق جانبي من شارع أفينو .

وقد استعرنا هذا المفتاح ومازالت عليه بصمات أصابع "لاري" ولطخ من دم "رولنجز"، قد يتوصل البوليس إلى معرفة دم "لاري" ولكن المفتاح أقوى دليل على اتهامه .. أفهمت ولما أومأت براسي استرسل يقول :

- ولن يتكلم الحارس الليلي لأنه أخذ نقود "سافيلا" ويخشى أن يفتضح أمره وسيظل "لاري" و"ليلان" صامتين مادام المفتاح في حوزتي..

- ولكن في وسعه أن يقول إن المفتاح أخذه شخص آخر من سيارته.

- هذا في وسعه ولكن ماذا عن بصمات يده ؟ كما أننا أطلقنا رصاصة من مسدسه قبل أن نغادر المخزن الذي أطلقت منه . وسيؤيد الاتهام الثقب الذي بيده وبصماته على المسدس ونقص رصاصة منه هي نفس الرصاصة النافذة في بعض خشب المخزن.. كلا يا "لوبين" إن "لاري" في مازق لا يقاس به المزرق الذي أراد أعوان "سافيلا" أن يضعوا فيه الحارس الليلي "رولنجز" .

وتلاقت أنظارنا فقلت :

- أهذا لايمسني ولايمس "جلوريا" ؟

- بالتاكيد .. ومتى تتصل بها

- وماذا يحملك على الاعتقاد بانني سوف أتصل بها ؟

فبدا عليه الغضب وقال عابسا :

- لماذا تظنني تركتك تاخذها في تلك الليلة وتقلها في سيارتك؟

فادركت ما يعنيه ولكن قبل أن يتسنى لي الرد . دق جرس التليفون على مكتبه فالتقط السماعة ثم مالبث بعد بضع لحظات أن قال :

- حسنا .. دعه يصعد .

وأعاد السماعة ثم التفت إليّ يقول :

- إن صديقا لك قادم لزيارتي يا "لوبين" .

قلت على الفور :

- كلا .. ليست "جلوريا" .

فالقى إلى وجهي نظرة عجيبة ثم قال :

- كلا .. ليست "جلوريا" ولكن المفتش "دافيدسون" .

الفصل الرابع

وحملق المفتش إلي عندما دخل الحجرة ثم أوما برأسه وقال :

- مساء الخير يا"نيد" .

وتطلع إليَ يقول :

- لم أكن أتوقع أن أراك بهذه السرعة بعد أمس يا "لوبين" .

فاجابه "نيد" :

- تفضل فاجلس هنا . ألك في سيجارة ؟ هذه فرصة سعيدة فقد انقضى وقت طويل منذ أن تكرمت بزيارتي لآخر مرة .

وتناول المفتش السيجارة فاشعلها ثم قال له :

- أعتقد انك تعرف سبب زيارتي اليوم ...ولعلك قرأت عن حادث المخزن الذي وقع في الليلة الماضية ؟

- قرات عنه شيئاً في الصحف .

- وعن الحارس الليلي ؟

- أظنه ضرب أو شيئا من هذا القبيل .

- نعم . وما زال في المستشفى حيث خيط له راسه . ويبدو أن الضربة أثرت في ذاكرته .

- أكانت الضربة قاسية إلى هذا الحد ؟

- كانت قاسية . ولكني أعتقد أن ضعف ذاكرته يرجع إلى خوفه... إلى تهديد صدر إليه من الجاني .

- وهل تظنني أعلم شيئا عن هذا الحادث ؟

- إن لم يكن هذا فهل لك أن تخبرني متى رأيت لآخر مرة صديقك "برت مايلاند" ؟

- صديقي ؟ ومتى كان صديقي ؟

- أليس كذلك ؟ لقد أخرجته مرة من السجن ومثل هذا الفضل عليه يجعلك صديقا له بلاشك .. أرايته في الليلة الماضية ؟

فتظاهر "كازينو" بالاستغراق في الاهتمام والتفكير ثم هز راسه وقال :

- كلا .. لم أره في الليلة الماضية . وماذا يحملك على هذا الظن؟
- كان من حسن حظه لو أنك رأيته بالأمس .
- كيف ؟
ولكن المفتش تشاغل بتدخين سيجارته فعاد "كازينو" يقول :
- أظنني أعرف من يستطيع أن يخبرك أين كان "برت" في الليلة الماضية .
- من ؟
- سكرتير نادي النجوم الثلاثة .. اتصل به تليفونيا إذا أحببت.
وأشار "كازينو" بيده إلى التليفون ، فأومأ المفتش برأسه وقال:
- أظن ذلك يا "نيد". شكراً .. ألديك رقم التليفون ؟
- ساجده في ملفاتنا.. دقيقة واحدة .. سأذهب وأجيئك به .
ونهض وهم بأن يخرج من الباب فقال له المفتش :
- لا تتركني يا "نيد" فليس الأمر ضروريا ولايدعو لخروجك إذ نستطيع الوصول إلى الرقم في ذلك الدليل
ولم يبد على "نيد" أنه رجل لم تجز مناورته على أحد بل عاد يبتسم بادي المرح ثم قال هذا صحيح.. ما أغباني حقا ! وامسك المفتش بحرفيه الكلمات فقال :
- أنت لست غبياً يا "نيد" ولكنني أظنك حسن الحظ جداً ولاعيب في الحظ سوى أنه لا يهادن دائماً ولايلازم صاحبه إلى الأبد .. الم يدر هذا بخاطرك قط ؟
فأجابه "كازينو" ضاحكا وهو يقلب صفحات الدليل بأصابعه :
- كثيراً .. كثيراً جداً ..
ولما عثر على الرقم ناول المفتش الدليل فأدار قرص التليفون وما لبث أن أعلن من هو ثم سأل عن "برت مايلاند: ، وبعد فترة قضاها في الإصغاء غمغم بضع كلمات أعاد بعدها السماعة إلى مكانها .. وكان "كازينو" يرقبه من ركن عينه فسأله :
- هل من فائدة ؟
فأجابه المفتش :
- شيء مضحك للغاية فقد أكد لي سكرتير النادي أن "مايلاند" كان

في النادي إلى ساعة مبكرة من هذا الصباح !

- وماذا يضحكك في هذا ؟

وفجاة شعرت بجو المكتب يتوتر ويتضطرب .. وتوقعت أن تهب العاصفة في أي لحظة وإن لم يبد على وجه الرجل ماينبئ بقرب هبوبها.. وقال المفتش وهو يعقد ذراعيه على صدره :

- هذا شيء مضحك لعدة أسباب يا "نيد" .. منها مثلا أن رجلين أخرين ذهبا إلى المستشفى في الليلة الماضية .. رجلين معروف عنهما اتصالهما بـ"مانويل سافيلا".. ويقول احدهما إنهما صدمتهما عربة نقل (لوري) في ساعة متاخرة من الليل كما افضى إلينا برقم هذا اللوري .

ـ لابد انه حاد البصر ..

- نعم في الواقع .. وكان الرقم لإحدى العربتين المسروقتين من موقف شارع جرينورث من ثلاث ليال فهل تعتقد يا "نيد" أن هذا من قبيل المصادفة المحضة ؟

- صراحة كلا .. ولكن هذه قصتك أنت .

- ولكني أعتقدها محض مصادفة وساخبرك بالسبب .. ذلك أن الرجل الذي لم يتكلم عندما ادخل المستشفى وجدت بين أصابع يده اليسرى قطعة امامية من قميص ومعنى هذا انه تشاجر مع إنسان اخر وجذبه من قميصه قبل أن يصرعه خصمه.

- ألم تقل إن "لوريين صدماهما ؟

فابتسم المفتش وقال :

- هو ذلك فلا تشوش القصة بطريقة ما ..

- لست أكره قدر ما تتوهمني فاعله ..

- قلت لك إن قطعة امامية من قميص وجدت في يده ولم نخبر احداً ممن لهم صلة بـ"سافيلا" ..

- اظنني فهمت ما تعنيه ..

- انا واثق بذلك كل الثقة يا "نيد" ولكن هنا تبدأ القصة في التعقد لأن "برت نيد" في المستشفى كذلك ..

وكانت لهجة المفتش هينة لينة معسولة وكان ينطق الكلمات في تؤدة وبطء وعيناه لا تغادران وجه "كازينو" كانما يقرأ ما يعتمل في راسه ويستشف ما يجيش في قرارته ..

وهز "كازينو" راسه ثم قال :

- الواقع أن هذا عجيب .

- هذا ما ظننته .

ولم أدر ماذا يعني المفتش بذلك ، ولكنني كنت أدرك مغزى المحاورة والمداورة بين الرجلين . وقال "كازينو" في رنة راثية :

- صدره ؟

فهز المفتش رأسه وقال :

- كلا يا "نيد" .. ليس في صدره ، وما كنت أعلم أن صدره ضعيف ، بل الأمر أبلغ خطراً من ذلك ، واغلب الظن انه وضع في عصارة جديدة جامدة ولا أظنه يقوى على استعمال قدميه قبل انقضاء شهور ، بل لعله لن يستعيد قدرته على السير على قدميه مرة أخرى .

وأخلد كلاهما للصمت .ورأيت أولى قطرات العرق تتجمع على جبين "كازينو" وقد تحجرت عيناه" وأنا واثق أن المفتش راى تلك القطرات المتصببة كذلك ولكنه لم يظهر عليه الانتباه إليها .. وغمغم "كازينو" قائلا :

- مسكين هذا الرجل .

فقال المفتش :

- إن حالته أسوأ من ذلك ، فربما مات "مايلاند" ، وإذا حدث ذلك فلست مسؤولا فضاقت عينا "كازينو" وضغط شفتيه في غيظ.

ثم قال :

- أجئت خصيصا لتقول لي هذا ؟

غير أن المفتش حافظ على هدوء صوته وبطء حديثه ، فقال :

- أوه .. كلا يا "نيد".. فقط كنت ماراً من هنا ورأيت انه قد يهمك أن تعلم هذه الحقيقة المهمة ، وهي أن موت "مايلاند" سيكون معناه أن ثمة جريمة .

- لماذا ؟

- لأنه عندما عثر على "مايلاند" كانت قطعة من صدر قميصه ناقصة.. ومن عجب أن هذه القطعة وجدت في يد الرجل الآخر ! والأعجب من ذلك يا "نيد" أن سكرتير النادي مصر على أن "مايلاند" ظل هناك حتى الساعة الثالثة يتحدث ويثرثر ويضع خطة المباراة الجديدة مع فرقة من الأندية الأخرى !

ولم يقل "نيد" شيئا عند ما توقف المفتش عن الحديث كانما ينتظر بقية القصة واستطرد المفتش يقول :

- ولكنه وجد في الثانية والنصف في أرض فضاء على بعد نصف ميل من منزله عثر عليه كونستابل هناك وحمله إلى المستشفى بسرعة عندما رأى حالته تستدعي الإسعاف السريع . هذا كل شيء يا "نيد" .

واستطاع "نيد" بقوة إرادته أن يقصي عنه الذهول الذي تملكه، واغتصب ابتسامة واهنة ثم قدم علبة سجائره قائلا :

- ألك في سيجارة أخرى ؟

فأجابه المفتش وهو ينهض ويرتدي قبعته :

- لا.. شكرا يا "نيد" .. يكفي ما أضعت من وقتك الثمين .

وتلفت حواليه ثم قال :

- أثاثك وثير جدا يا "نيد" ويتناسب مع شهرتك ... أما سيارتك الأمريكية فأفخم سيارة في لندن كلها .

فأجابه "نيد" نافد الصبر :

- هكذا وصفتها الصحف .

والتفت المفتش إلي يقول :

- وأنت يا "لوبين" ، لقد أغضبت مدير الشركة بأن استعدت سيارتك القديمة في الليلة الماضية لبضع ساعات دون ترخيص منه! ولالمناسبة.. ألم تقترب بها مصادفة من الايست اند ؟

واغتبط "نيد" عندما أجبت المفتش قائلا :

- إن ما لقيته سابقا من متاعب جعلني آخر من يتصيد الشواغل من جديد .

وابتسم المفتش ثم قال :

- هذا ما كنت أظنه من أيام قلائل ، ولكنني لا أكاد الآن أصدقك

وأنت تعلم أن نشاطك يضيع كثيراً من وقتي في التفكير المضني خصوصا بعد أن بحث رجالنا في أرجاء سيارتك القديمة ولم يعثروا فيها على شيء مما أعتقد أنك و"جلوريا" قد اهتديتما إليه فقلت :

- لم أعثر على شيء ، وكانت "جلوريا" تبحث عن ورق يهمها ، ولا أظنها وجدت ضالتها المنشودة ..

- حسبك أن وجدت انت ضالتك المنشودة .. وهي العمل لحساب مستر "كازينو". فتولى "كازينو" الدفاع عني قائلا في خبث:

- إن عمله عندي لايعدو القيادة التي يجيدها وهو كما تعلم من خيرة السائقين .

فأجاب المفتش في رقة امكر واخبث :

- وخير فضائله انه يعرف لندن جيداً أكثر من ابنائها .

- هذا شأن كل السائقين فهم جميعاً يعرفون لندن ولايجيزون لهم في اسكوتلانديارد أن يمتهنوا القيادة بغير هذه المعرفة .. اليس كذلك؟

وقبل أن ينصرف المفتش بادي الحنق قال لي :

- من حسن حظك يا"لوبين" أن وجدتك إذ أغنيتني عن البحث عنك والتساؤل عن مخبئك ..

وما إن خرج وصفق خلفه الباب حتى تقدم "كازينو" نحوي واقترب بوجهه من وجهي ثم قال :

- ما سر اهتمام "جلوريا" بان تاتيها بسيارتك القديمة ؟

ولم يرقني ما كان يومض في عينيه من تهديد ووعيد ، فظللت صامتا ، وقرض على أسنانه وتقلصت عضلات وجهه ثم أمسك برقبتي وصاح :

- قل .. تكلم .

ورثيت لهياجه فقلت :

- أظنك سمعتني اقول لمفتش البوليس إنها كانت تبحث عن شيء يهمها لم يعثر البوليس عليه في اثناء تفتيشه ..

- وهل وجدته هي ؟

- لاادري .

- فهزني كانما يريد أن يقتلعني من مقعدي وهو يرعد :

- لاتكذب علي يا"لوبين" .. لاتكذب بالله علي يارجل !

فقلت صادقا :

- انا لا اكذب ثق بانني لا اعرف سوى انها عثرت على ورقة في فجوة لوح النافذة الزجاجي .. ولم اسالها ماذا كان في تلك الورقة لأن الامر لايعنيني في كثير ولانها لم تتطوع بإخباري .

وود لو يصدقني - كما رايت - ولكن الظروف لم تكن مما تجعله يقوى على الاعتقاد بصحة ما اقول .. نعم ظروفه التي يعيش فيها دائما وسط عالم مشحون بالريب والشكوك والمظان فقال :

- لقد كنت معها في طريقكما إلى هايد بارك في السيارة فماذا قالت لك ؟

وكان يعتصر راحة يمناه في يسراه لفرط انفعاله وهياجه ، لأنه كان يعلم أن العنف معي إن اجدى يوما فلن يجدي أياما ، فقلت في غير مواربة :

- كانت شديدة الاكتئاب بحيث اخلدت إلى الصمت .. هذه هي الحقيقة يا "نيد" فوفر عليك الجدل .

- إذن فقد لعبت عليك كعادتها في العبث بكل إنسان !

ووقف واجما ظاهر الألم والتبرم والضيق ثم انفجر قائلا :

- سوف تطعمك الوحل وسوف تتخذك مطية للنيل مني كما فعلت مع "جوزيه سافيلا" الذي تزوجته ، كما أن أختها .. شقيقتها .. ماتت لأن ...

وامسك انفاسه المبهورة ، فوثبت على قدمي بدافع غريزي لم أملك مقاومته ثم انشبت يدي في كتفيه ودفعته إلى مكتبه صائحاً :

- دعها لشانها وكف عن إيذائك نفسك بالاهتمام بامرها ! وإذا كانت لاتستحق منك هذا الاهتمام فانت طائش أحمق .. أما إذا كانت جديرة به فانت أكبر طائش !

وعدت اغوص في مقعدي واضعا وجهي بين كفي وقد تملكني الأسى، وسمعته يتحرك ثم يقول :

- اريدكم جميعاً هنا لأن العاصفة تهدد رؤوسنا

وخيل إلي من صوته انه انقلب من ذلك الرجل المعذب منذ دقائق إلى الداهية الذي لايقف شيء في طريقه ولاتنهض عقبة في سبيل إرادته..

الفصل الخامس

وسرعان ما دخلوا الحجرة واتخذوا مقاعدهم في صمت وترقب كأن على رؤوسهم الطير .

وكان "ستيف" يمضغ عود ثقاب في هياج فور أن قدم مع "ونجيت" وسمع بزيارة المفتش .

وحضر "فريد" و"هاري" السائق الذي تومض عيناه نصف المغلقتين بالدهاء ، وكذلك قدم "هانك برودسون" (الأمريكي) بقامته الطويلة وابتسامته الزئبقية . ورأيت الرجل القصيرالذي كان قد أدخلني إلى مكتب "كازينو" ثم علمت فيما بعد أن اسمه "ويناك" وأنه مستشار "كازينو" ومدير شؤونه المالية الخاصة بالمشروعات الخفية والمغامرات.

وتطلع إليهم "كازينو" بهدوء وهو جالس إلى مكتبه . وظلوا يرنون إليه في انتظار أخباره السيئة ولم يشأ أن يطيل قلقهم فاستدار أولا إلى الأمريكي قائلا :

- عندما تلقيت في الليلة الماضية المحادثة التليفونية مع "برت"، ماذا قال لك ؟

فتطلع كل واحد من الحاضرين إلى الآخر ثم إلى الأمريكي في قلق لمجرد أن الأخبار تدور حول "برت مايلاند" ، وقال الأمريكي عابساً متجهم الأسارير :

- فقط أخبرني أن المهمة انتهت على مايرام وأنهم فرغوا من سائقي "سافيلا" ببعض العنف وأن اللوريين والبضائع في طريقها، وكذلك أخبرني بأنه سيعود على الفور إلى منزله لأن زوجته تتوقع أن تلد فوافقت له .

ونظروا جميعاً إلى "كازينو" وإلى الخيوط المرتسمة حول عينيه فقال:

- لاأظن أن "برت" بلغ منزله ، وعلى أية حال ، علم "سافيلا" بما حدث فارسل أعوانه إلى "برت" يدهمونه في فلاة من الأرض . ولحسن الحظ نقل إلى المستشفى قبل أن ينق كالضفدع .

وتوقف لحظة عن الحديث وقد انتهبته العيون في صبر نافد ثم عاد يقول :

- وقد تمزق صدر قميصه في اثناء الشجار مع سائقي اللوريين، وعثر رجال البوليس على هذه القطعة المزقة من قميصه في يد أحد السائقين فإذا مات "برت" كانت هناك جريمة ضرب أفضى إلى موت وطال التحقيق وتعددت الأسئلة .. وانتم أدرى بمعنى هذه الاستجوابات والتحقيقات . أما إذا لم يمت "برت" فسوف يكون لنا كل الحق أيضا في إعطاء "مانويل سافيلا" درساً لاينساه .

وبدا عليهم جميعا الحنق والغيظ والهياج .. وأيقنت أن كلامنهم يتحرق على الثار والقتل بيديه إذا مات "برت مايلاند" . واستطعت أن اقرأ هذه العزيمة متجلية في وجوههم وهم يراقبون "كازينو" الذي عاد يقول :

- نعم . سوف نلقنه درسا .

ثم راح يرقبهم بدوره وهم يرغون ويزبدون ويتبادلون الوعد .. بل الوعيد .. بأن يثاروا لـ"برت" شر ثار .. حتى إذا وجد "كازينو" أن مرجل الغضب قد خفت حدته قليلا في نفوسهم دق جرسا فوق مكتبه ، فعادوا جميعاإلى مقاعدهم وهدوئهم وصمتهم المطبق من جديد . وارتفع صوت زعيمهم يقول :

- يجب أن نحافظ على رؤوسنا بمضاعفة الحذر والدهاء فانتم تعلمون جميعا أن المفتش "دافيدسون" كان هنا وانه لن يهدأ له بال حتى يلصق بنا الأدلة المادية الدامغة التي لاتحتمل أي شك لاتهامنا . وقد رايت في اثناء حديثه معي أنه واثق كل الثقة بانه بدأ يمسك بطرف الخيط ولذلك يجب أن نحترس وأن نعتني بكل صغيرة وكبيرة وانت يا "ستيف" تعرف من يعملون مع "برت" .

فاجابه "ستيف" وكان من قبل يتطلع إلى أظفار أصابعه :

- نعم اعرفهم ومعظمهم يقيمون حول "بريكستون" . وجميعهم يدينون لـ"سافيلا" بالمقت والكراهية ولكن .. ماذا عن مسز "مايلاند" زوجة "برت" ؟

- لن انساها ولكن قل لي .. هل تستطيع الاتصال باحدهم ؟

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

- إلى كم ؟

- إلى يوم أو يومين .

- حسنا . وليكن ذلك باسرع ما تستطيع لتخبرهم بما حدث لـ"برت" وبانني ساتولى بنفسي في هذه المرة علاج "مانويل" !

ونهض "برودسون" على قدميه يقول :

- اوضح لنا يا "كازينو" ما تعتزم عمله .

فنهض "كازينو" بدوره وتطلع إلى الوجوه الرانية إليه ثم قال :

- إن "سافيلا" يعرف مبلغ مايلحق بمؤسسته من اضرار وهو ينفق الكثير ليجني القليل لأن فوائده تضيع في استجلاب ولاء عصابة "فنزبوري" وعصابة "الجيت". وهو يعمل الآن على تقسيم لندن إلى مناطق يسيطر عليها أعوانه وبذلك يتمكن من تكرار غاراته ومضاعفة أسلابه فوائده .. ولكن ما دمنا نستطيع أن نحرمه كل ما يسرقه فسوف نحبط كل مشروعاته . وهو يعلم جيدا ما اعتزمناه وخصوصا بعد الحادث الأخير ولذلك فالغضب يعصف بوجدانه بل يخرجه عن عقله وها هو ذا قد قدم لنا (عينة) مما يجب أن نتوقعه منه بأن هاجم "برت" فور أن تلقى الأخبار عن غارتنا .. وكان هجوما قاسيا قد يكلف "برت" حياته .

وإذ ذاك تحدث "ويناك" (المدير الإداري والمالي) قائلا :

- الواقع اننا يجب علينا أن نحتاط وأن نتخذ كل الحذر فإننا نمد رجالا لفظتهم السوق السوداء .. نمدهم بالأثمان العادية في السوق المشروعة مما يجعل مكاسبنا محدودة .

فقاطعه "كازينو" وهو يشير إليّ :

- اظن "ارسين لوبين" لايصدق ما تسمعه أذناه لأنه يعتقد اننا أوغاد ولصوص وأننا نبتز أموال الناس لنعيش عيشة اللوردات .. اليس كذلك يا "لوبين" .

فتطلعوا جميعهم ناحيتي فقلت :

- وهلا تتفق الغارة التي شننتموها في الليلة الماضية مع ما قد أعتقده ؟

- وتولى "برودسون" الرد علي فقام يتكئ على حافة المكتب ويقول:
- اصغ إلى يا"لوبين" ! لقد رسمنا خطتنا للسطو على لوريات "سافيلا" بعد أن غادرت مخزن (إيست إند) مليئة بالبضائع المسروقة.. وقد أغدقوا العطاء للحارس الليلي "بيتر رولنجز"ليدعهم يسرقون ما في المخزن بعد أن يكمموه ويوثقوه إلى مقعده . أرأيت ؟

ولما أومات برأسي استطرد يقول :

- لن أخبرك أين ذهب اللوريان وسوف تقرأ ذلك على الأرجح في الصحف غداً أن أحدهما وجد في مكان في الجنوب الغربي وأن الآخر في ميلاندز أي على بعد ثلاثمائة وعشرين كيلو متراً من الآخر .. وستقول الصحف إن اللوريين وجدا خاويين ، ولعلك تحب أن تعرف أين ذهبت البضائع التي كانت فيهما .. أليس كذلك يا "لوبين" ؟ هناك تجار صغار كثيرون ممن خدعوا ببطاقات مزيفة ويجب أن يتلقوا بعض المساعدة ، وهناك آخرون سرقت بضائعهم ولاتستطيع شركات التأمين أن تجيئهم بما يعادل المسروقات ، وهناك آخرون كذلك أفلسوا....

فقاطعه "كازينو" قائلا :

- هذا يكفي يا "برودسون" فقد أخذ فكرة عامة وبقيت بعض التفاصيل التي أحب أن أضيفها لمسيو "لوبين" وهي أن أولئك التجار سوف ينالون المعاونة بطرق مشروعة .. عن طريق تجار معترف بهم ولهم أسماء في السجل التجاري ولذلك لن يحتاجوا إلى التزوير في دفاترهم وحساباتهم .. وقد استغرقت إقامة مثل هذه المؤسسة وقتاً طويلا ويكفينا فخراً أننا استطعنا بهذا النظام أن نمكن الجمهور من الحصول على البضائع المسروقة وأن نعيدها إليه بالأثمان الرسمية .

قلت وقد تأثرت بقوة حديثه :

- هذا كله حسن جداً ولكن ماذا عن "برت مايلاند" وزمرته أليسوا مجرمين أو لصوصا ؟ هذا فقط ما أحب أن أعرفه ..

وأحسست بالأنظار القذرة تلهبني من كل ناحية وبادر "كازينو" يقول:

- لارذيلة يمكن إلصاقها بهم سوى أنهم يخالفون القانون ولكننا

جميعاً نضطر أحياناً إلى خرق القوانين .. وانت أول من اجترح هذه المخالفة وهذا الخرق في أكثر من مرة وضميرك مرتاح كل الراحة .. أليس كذلك يا "أرسين لوبين" ؟!

وحاولت أن أتكلم فلوح لي بيده أن أسمعه ثم استطرد يقول :

- هذا يتوقف على القانون الذي يخرق لأن القوانين ليست كلها سليمة رغم ماحاوله واضعوها من توخي العدالة ، ولولا ما يسلم به رجال القانون أنفسهم من نقص بعض القوانين لما أوجدوا للمتقاضي فرصة الاستئناف والنقض ، ولولا ذلك ماعقدت اللجان من حين إلى أخر لتعديل القوانين لتساير الزمن وتخلو من وجوه الحيف أو النقص...

ولوح لي مرة أخرى لأخلد إلى الصمت حتى يتم حديثه ثم استرسل يقول :

- ولعلك تعرف المثل القائل «كم في الحبس من مظلومين» بسبب ما يتفشى في كل العالم من شهادة الزور كما تعرف أن كثيرين ممن يخرقون القوانين ويعبثون بالأمن في مأمن تام لعدم كفاية الأدلة على اتهامهم أو للعجز عن الحصول على الشهود اللازمين .. ولعل العدالة البريطانية أشد العدالات تمسكا بضرورة الشهود لإمكان الحكم على الأشرار بالعقاب الذي يستحقونه ، وهذه (موضة) أن أن تعدل أو تلغى.

قلت :

- أتعني أنك لا ترى حاجة إلى الشهود ؟

- أنا لم أقل ذلك إطلاقا ولكن هناك بعض قضايا يمكن الاستغناء فيها عن شهادة الشهود ...

وبعد جلسة دامت حوالي نصف الساعة انفض الجمع بعد أن وافقوا جميعاً على ضرورة اتصال "ستيف"برجال "مايلاند" في بريكستون و على أن يُلقى درس رادع على "مانويل سافيلا" ، ونهضت معهم ، وقد تأثرت بعض التأثرالذي يرجوه "كازينو" . ولما مضيت نحو الباب استدعاني قائلا :

- الديك مانع يا"لوبين" من أن تقلني إلى ستوكويل ... أي فيما بعد

بريكستون . ؟

فاومات براسي وقلت :

- كما تشاء ..

- إن منزل "برت مايلاند"هناك وأريد أن اتحدث قليلا إلى زوجته، ولكني لااحب أن يعلم بذلك الآخرون فلا تقل لهم شيئاً .

- أتتوقع اعتراضا منهم ؟

- ربما يرون ذلك بعيدا عن اسباب الحذر والتوقي ؟

- اولا تعتقد ذلك مثلهم ؟

- اوه يا "لوبين" ؟ إنك كثير الأسئلة .

- ولم لا يكون سؤالي بدافع من ضرورة الحذر اللازم لسلامتي؟ .. ماذا لو فوجئنا هناك ببعض المتاعب ولم نجد من يخف لنجدتنا ؟

- إذن ساخبر "هانك برودسون" .

واعجبني منه أن يقتنع بسهولة رغم شدة اعتداده بنفسه ومواهبه.. ولكن ما إن علم "هانك" بهذه الزيارة حتى أصر على مرافقتنا فمضينا نحن الثلاثة إلى حظيرة في شارع خلف منتزه سانت جيمس . وهناك أعطيت لي سيارة خيل إليّ لأول وهلة أنها عاشت أضعاف عمرها ، ولكن ما إن جلست خلف عجلة قيادتها حتى ادركت انني لم أسعد في حياتي بسيارة مثلها ومضيت بها خفيفة إلى كننجتون ثم عبرت جسر وستمنستر بينما كان "هانك "برودسون" و "كازينو" يتحدثان خلفي ولايهتمان بخفض أصواتهما فسمعتهما يذكران أسماء رجال وامكنة ويشيران إلى أمكنة الاجتماع وصفقات تجارية في صراحة وعلانية وفي غير تحفظ .. وظللت انصت طوال الرحلة حتى إذا اقتربنا من برج الساعة في ستوكويل انحنى "نيد" إلى الأمام والقى تعليماته إلي ، فمضيت إلى الأمام ثم إلى طريق جانبي من مئات الطرق التي دمرتها غارات الألمان ، واصبحت شركاتها ومصانعها دوراً مهدمة.. واخيرا أوقفت السيارة في المنعطف التالي وقال "كازينو" وهو يتامل ساعته :

- انتظر انت هنا يا "هانك". وإذا لم نعد بعد ساعة فتعال وابحث عنا ..

ولم يعترض الأمريكي ولكنه قال :

- إن ساعة مدة طويلة جدا !

فرد عليه "كازينو" قائلا :

- أعرف ذلك ولكن محاضرتي طويلة كذلك وربما كان لدى "لوبين" مايقوله ايضا .

- حسنا ، كما تشاء .

وتامل ساعته ثم قال :

- سالحق بكما إذا انقضت ثانية واحدة على الساعة المحددة.

وعدت مع "كازينو" إلى شارع كلافام فعبرناه إلى الشارع المقابل ، ثم اتجهنا إلى اليمين في طريق زاخر بالأولاد الذين لايجدون متنزها لألعابهم ! وفي نهاية ذلك الطريق اتجهنا إلى اليسار بمحاذاة الطريق العام . ودفع "كازينو" بوابة حديدية قديمة للمنزل الرابع ثم طرق بابا أخضر اللون .. وسرعان ما تناهى إلى أسماعنا وقع اقدام في الردهة الداخلية الضيقة ، ثم فتح الباب وظهرت خلفه امراة منحنية الظهر قصيرة القامة بيضاء الشعر .. والقت نظرة عابرة إلي ثم راحت تتفرس في "كازينو" ووجهه الجميل ، ثم سالت :

- ماذا تريدان ؟

فاجابها في رفق :

- أحب أن أتكلم مع مسز "مايلاند" في أمر عاجل .

فرفعت المراة يداً معروقة إلى وجنتيها لتدفع خصلة من شعرها الأبيض جانبا ..

وسقطت الخصلة إلى مكانها الأول بعد لحظة ،ولكن المراة لم تفطن إلى ذلك وقالت في لهجة متحدية وهي تحملق إلى "كازينو" :

- إن ابنتي نائمة ولايمكن إزعاجها .

- وعاد "كازينو" يقول :

- ولكني ارجوك ..

- فصاحت فيه بصوت حاد :

- من أنت ؟ وما اسمك ؟

- اسمي "كازينو"، وأنا ...

فصاحت تقاطعه :

- "نيد كازينو" ! كلا ... إن "دوللي" لاتريد أن تراك لأنك مسؤول عما حدث لزوجها "برت". إن البوليس لم يقل ذلك عندما قدم إلى هنا ولكننا علمنا الحقيقة ..

ولو انه سمع نصيحة "دوللي" التي طالما حذرته من الاتصال بك لما وقع له ماحدث ..

ثم راحت تسعل سعالا بغيضاً ينبئ بفساد رئتيها ، حتى إذا كفت عن السعال عادت تقول :

- إنهم يسمونك "أمير البلطجية" ولك أعوان مردة ..

ولكنها عادت إلى سعالها الجاف العنيف من جديد ، ورنوت إلى "كازينو" فوجدته شديد الإصرار على إنجاز مهمته، ثم مالبث أن قال لها كانما يدلل طفلا عنيداً :

- على اية حال يجب أن ارى زوجة "برت" لأن الأمر غاية في الأهمية ولا يصح أن تقفي في سبيلي هكذا .

ومرة أخرى صاحت وقد تضاعف حنقها :

- يجب أن تذهب من هنا فإنك غير مرغوب فيك في هذا المنزل.. لامكان لك هنا يا "نيد كازينو" ولا موضع عندنا لأمثالك واشباهك ! إنني اشكرك لو أوليتني ظهرك وانصرفت لحالك وإلا فسوف أستدعي البوليس وأجعلك ...

وقاطعها في هذه المرة صوت خافت مكدود خلفها يقول :

- من هذا يا أماه ؟ يجب الا تقفي هكذا في الباب وانت تسعلين !

وحاولت العجوز أن تغلق دوننا الباب وهي تصيح في وحشية:

- اذهب لعنة الله عليك !

ولكن قدم "نيد" امتدت تمنع الباب من أن ينصفق في وجهينا، ثم نادى قائلا :

- يا مسز "مايلاند" ! انا "نيد كازينو".. جئت لاتحدث إليك في أمر مهم عاجل ..

ارجو أن تصدقيني ..

وران صمت مسرحي ونحن واقفان بلا حراك او كلام إلى أن قطع

حبل الصمت نحيب المرأة في الردهة الضيقة ونشيج بكائها الواهن المتقطع .

كان وجه "دوللي مايلاند" يحمل طابعا عجيبا من المتناقضات يتسم به عادة معظم نساء العمال ، فبينما كان مستديراً يكتنز باللحم الممتد إلى عنقها ، كانت شاحبة الأسارير واسعة العينين فاحمة الشعر خابية النظرات ترتسم على جبينها خطوط الحياة الجاهدة وتمتد حول ركني فمها خيوط متجهمة تعكس شظف العيش الذي تعانيه .

وبعد أن توسلت إلى أمها أن تتركنا جلست بادية التعب على مقعد كبير بحجرة الاستقبال حيث اعتلت إحدى المناضد زهرية ذابلة الورود لا تتجدد مياهها في كل يوم وعلى الرغم من نظافة الحجرة كانت تصل إلى أنفي رائحة مياه آسنة ، وأخذت المرأة تتفرسني فادرت عيني إلى الموقد وإلى غليون فرنسي فوقه ، وأدركت أنه كان يجب ألا أحضر مع "كازينو" إلى هذه الشقة التي تحمل طابع الأسى ولكنني كنت أرحب بمرافقة ذلك الرجل أينما ذهب لعلني أجد حلا لهذه الطلاسم التي تحيط به والتي لا أعرف معها طبيعة العمل الذي يمارسه في الخفاء ، ويتناقض ما أسمعه عنه مع ما يقوله "كازينو" ويؤكده من أنه حرب على السوق السوداء والعابثين بها وأنه يوفر للمستهلكين كثيراً من حاجاتهم بالسعر المقبول الذي لايبهظهم ويمنيهم بالحرمان !

وبدأ "كازينو" يتحدث إليها ولكنني لم أكن واثقا بأنها كانت تصغي إليه في اهتمام ، وكان حديثه حول زوجها "برت" وكيف أنه كان وساطة لمساعدة رجال آخرين يرون فيه قائدا وزعيما ، وكان صوته مسرحيا يعلو وينخفض كأنغام القيثارة ، وكانت نبراته ترتجف بضع لحظات أشبه بأوراق الشجر فتسترعي انتباه المرأة وتجعلها تنظر إلى عيني محدثها الضارعتين وهو يقول :

– ثقي يا مسز "مايلاند" أنني ما كنت أحب أن يحدث لزوجك ما وقع له ، وسوف تعنى به كل العناية .. أما أنت فسوف ...

وإذ ذاك انفتح الباب على مصراعيه ودخل طفل في الخامسة أو السادسة قذر الوجه مشرق الأسارير ثم وقف يحملق برهة إلينا

واخيرا قال :
- إن "جراني" لايريد أن يعطيني الكرة يا أماه .
فاجابته بصوتها المكدود في رفق :
- ليس الآن يا "جيمي" .. ليس الآن .. اذهب واعمل كما يقول لك "جراني" الطيب ..
اذهب يا "جيمي" !
وغادرنا الطفل في خطوات بطيئة وهو يجر قدميه جراً .. وبعد أن صفق خلفه باب الحجرة سمعناه يتوثب ويتصايح ، وتنهدت المرأة الشابة ثم قالت :
- هكذا ترى يامستر "كازينو" .. إن لدينا "جيمي" هذا وننتظر مولوداً آخر في القريب ويقول الدكتور ...
ثم هزت رأسها وعضت شفتيها لتمنع نفسها من الاسترسال في عرض كروبها ونكباتها فقال "كازينو" بادي الياس والقنوط :
- لاتغتمي فإن الهموم لن تجدي "برت" ولن تعاونه .. سأذهب بنفسي إلى المستشفى لأوفر له كل أسباب الراحة وساخبره بأن ليس ثمة مايدعو إلى قلقه من أجلك فصدقيني . فرنت إليه بدورها كاسفة البال حتى خيل إليّ فجأة أن عمرها زاد عشر سنوات وتاملت عنقها الناصع البياض الناعم كالحرير وهي تقول :
- أنا أصدقك وأعرف جيدا أنك لن تدخر جهداً لديك . وسبق أن حدثني "برت" بكل شيء ولكني خائفة .. خائفة كما تراني ولا حيلة لي ولاقوة ! هاهو "جيمي" الصغير وهاأنذا وهاهو "برت" في المستشفى ومع ذلك أخشى أن تمد يد المساعدة إلينا بسبب البرقية التي تلقيتها .
فتصلبت عضلات "كازينو" وغمغم مشدوها :
- برقية ؟ ممن ؟
فاشارت بيدها إلى حافة الموقد حيث برزت حافة برقية ، فنهض "كازينو" يلتقطها وهو يقول مترددا :
- أتسمحين لي بالاطلاع عليها يا مسز "برت" ؟
فلما أومات برأسها إيجابا ، وقد اشتد امتقاع أساريرها ، فض البرقية في انفعال وراح يتلوها ، ثم جلس مطبق الشفتين عابس

الوجه ، ومد لي يده بالبرقية فوضعتها على ركبتي وقرات فيها مايلي:
«لاتتحدثي إلى "كازينو" إذا زارك ولاتساعديه باية طريقة او تجيبي عن أسئلته بل لا تطلعي احدا على هذه البرقية كائنا من كان ، وإلا فإن ما حدث لن يكون إلا بداية المتاعب» .

ولم تكن البرقية تحمل اي توقيع او إمضاء اواسم يدل على مرسلها، ولكن كان جلياً انها أرسلت من مكتب بشارع والهام جرين في الحادية عشرة والنصف صباحا .

وطويت البرقية ثم اعطيتها لـ"كازينو" الذي قام في هدوء وسكون فارجعها إلى مكانها فوق حافة الموقد ، وعاد ليغوص في مقعده من جديد ويقول :

- إذا لم تساعديني فسيكون في ذلك القضاء على "برت" وانت تعلمين هذا جيداً يا مسز "مايلاند" .. بل سيكون القضاء عليه وعلى الآخرين .. اما إذا ساعدتني ففي وسعي أن أمنع كل متاعب من هذا النوع .

وكمشت المراة الشابة في مقعدها كانما تود أن تختفي وأن تتوارى عن العيون ...

وبعد لحظة قالت وصوتها اشبه بصدى نفسها :

- وكيف أستطيع مساعدتك يا مستر "كازينو" ؟

فاجابها في هدوء :

- تستطيعين أن تحدثيني عن "ماري فاريل" : لماذا قدمت إلى لندن؟ وماذا جاءت به ؟ إن "برت" كان يعلم واظنه أخبرك بما يعلمه.. ولا أدري لماذا لم يخبرني أنا ؟ وإنني لاتساءل : هل كان خائفا مني أم من احد غيري ؟ أو هل كان يخشى أن يكون له شان في محاكمة "جوزيه سافيلا"؟ وهذا "لوبين" ... "ارسين لوبين" الذي كان يقود السيارة التي قتلت فيها "ماري فاريل" خارج فندق بلا مونتانا وهو الذي تعرف على قاتلها "جوزيه سافيلا" وشهد بذلك في اثناء المحاكمة بلا مواربة او خوف او تردد..

وحملقت إلى "كازينو" لا ادري لماذا يقحمني في حديثه مع المراة ولا أرضى أن يجعلني وسيلة لحملها على الإفضاء بما تكنه في نفسها

وتخاف أن تبوح به .. ولكن ها هو ذا يتخذني أداة لحملها على قول ما يتحرق على معرفته .. ومن أجل ذلك لم يصطحب معه في هذه الزيارة "هانك برودسون" وإنما آثرني برفقته ! وتبينت من ذلك أن "نيد كازينو" داهية لايقدم على عمل من غير ترو وبدون رسم الخطط اللازمة

وعندما تكلمت وجهت حديثها إلي وفي نبرات صوتها ماينبئ بالخوف الذي يساورها ، فقالت :

- أعرفت شيئاً عن الأوراق ؟

فاجبتها على الفور :

- نعم ، وعرفت في أيدي من وقعت .

وتطلع "كازينو" إلي دون أن ينطق بحرف ... وغمغمت المرأة تقول كانما توضح مايريده "كازينو" :

- كان "برت" خادما أو مراسلا للكابتن "فاريل" في أثناء الحرب.

ولكن لم يبد على "كازينو" انه كان يجهل ذلك ، وكنت أعلم بدوري أن زوجة "فاريل" قدمت إلى لندن باوراق إلى "جوزيه سافيلا" الذي قتلها ثم لم يجد هذه الأوراق في حقيبتها التي خطفها . ويبدو أن زوجة "جوزيه" التي كانت تحب "كازينو"، وربما لاتزال تحبه ، (والتي هي أخت ماري فاريل) قد حذرتها من الثقة بـ"سافيلا" والاطمئنان إليه .. ورحت اتساءل لماذا ؟ وماذا تحوي الأوراق من اشياء تهم "جوزيه سافيلا" كل هذه الأهمية التي دعته إلى ارتكاب جريمته للحصول عليها؟ ثم لماذا يهتم بها ايضا "نيد كازينو" ؟

واختلطت الافتراضات براسي ولم اظفر بنتيجة رغم ما جاهدت في التفكير والدراسة ولكن ومضت فكرة براسي فقلت :

- اين "فاريل" ؟

فسقط فك المراة وحملقت إلي كانما قد استحلت إنسانا آخر امام عينيها وقال "كازينو" :

- كنت اظنك تعرف يا"لوبين".. كنت اظنك علمت بانه قتل منذ بعض الوقت في حادث ... خاص !

ولم اتكلم لانني كنت افكر إذ ذاك في رقم تليفون "جلوريا"ورجائها أن اتصل بها في مدى يومين ، وفي انني يجب الا انسى ذلك ولم يبق

سوى يوم آخر. ولذلك اكتفيت بان هززت راسي ... وتنهدت "دوللي مايلاند" عن كبد حرى ، ثم تحركت في مقعدها ... وعندئذ انحنى "كازينو" يرفعها بيده القوية ويسند ظهرها إلى ظهر المقعد فشكرته بنظرة منها وقالت :

- ظل الكابتن "فاريل" على اتصال بـ"برت" إلى أن وقع الحادث... وقد كتب الكابتن قبل ذلك يقول إنه قد يحتاج إلى "برت" ليعاونه في أمر ربما يكون على جانب كبير من الخطر ، ثم كتب يقول «ولكنني أعلم أنك لن تخيب رجائي» وفعلا لم يخيب "برت" رجاءه لأنه ليس من الصنف الذي يرضى بذلك .

وأغمضت عينيها لتخفي مايترقرق فيهما من دموع فقال "كازينو" :

- أنا أعرف "برت" جيداً وأعرف فضائله يا مسز "مايلاند" ورقات الزوجة الشابة دموعها التي انحدرت على وجنتيها ثم عادت تقول :

- وقبيل الحادث الذي .. قتل فيه الكابتن تلقى منه "برت" خطاباً ثانياً ذكر فيه شيئا عجيبا إذ قال «لو حدث لي شيء ، فعليك أن تساعد زوجتي بمثل ما كنت تساعدني» فارسل له "برت" يؤكد له ذلك .. ولعل هذا ما جعل "برت" يلتزم الصمت في أثناء المحاكمة في حين كان يجب أن يقول شيئا آنذاك ...

وتطلعت إلينا ثم تسمرت عيناها على "كازينو" فاوما براسه كانما يخبرها أنه يدرك ما تعنيه ثم قال :

- إن "برت" كان على حق فيما اظن يا مسز "مايلاند" .. على حق تماماً.. وإذا لم أكن مخطئاً فهو قد تلقى إنذاراً بالا يتقدم ويثير المتاعب .. إنه لم يخبرك بذلك ولم يخبرني ايضا وهذاما يدهشني كثيراً .

وهنا سالته بدافع من حبي للاستطلاع :

- وهل أخبرك بشيء عن خطابات الكابتن "فاريل" ؟

فاجابني :

- لا يا"لوبين" ..

وسالته "دوللي مايلاند" بدورها :

- أكان ثمة ما يمنعه من ذلك ؟

فاجابها : لا أظن .
وعادت تساله :
- إذن كيف جاءتك هذه الأخبار عن "برت" وعن كل شيء ؟ ولماذا جئت تنشد مني أخباراً ؟
وسرعان ما انقلبت المراة في لحظة واحدة من مخلوقة خائفة كامشة إلى امرأة متحدية ملتهبة العينين ونصبت قامتها كالعود فوق مقعدها وسقطت الوسادة من خلف ظهرها .. ذلك لأن "برت" كان يعني كل شيء عندها بل كان تسعة اعشار حياتها او أكثر .. ولقد أدركت ذلك جيداً من التماع عينيها وأمارات التحدي التي غشيتها فجأة .
وتطلعت حولي في أرجاء حجرة الاستقبال مرة أخرى فرأيت كل شيء مطبوعا بسني الجهاد لمناهضة الفقر ورثيت في نفسي لما أصاب الرجل الذي أوتي مثل هذه العزيمة ومثل هذه الزوجة المحبة الوفية المدبرة . وعاد "كازينو" يثبت انه ليس بالرجل الذي يؤخذ بالمفاجاة فاجابها :
- أنا أعرف يا مسز "مايلاند" لأن مسز "فاريل" كتبت لي تخبرني بما كان يعمله زوجها وذكرت لي ضمنا اسم "برت" .
وانحنى عليها مرة أخرى يضع الوسادة خلف ظهرها المكدود ثم استطرد يقول :
- ولكني بالتاكيد لم أعرف إلا الآن فقط أن الكابتن "فاريل" طلب إلى "برت" أن يساعد زوجته إذا ..
وتطلع إلى ساعته ثم قال :
- أخشى يا مسز "مايلاند" أن أكون قد طمعت في كرمك فاطلت بقائي هنا أكثر من اللازم .
وأردت أن أقرص نفسي لتصدق ماتراه عيني وتسمعه أذني لأن هذا الرجل الرقيق الناعم الصوت المنحني على المرأة المتعبة ممسكا بيدها.. لايمكن أن يكون "نيد كازينو"، زعيم البلطجية ، الذي لا تعرف الرحمة باعدائه وخصومه سبيلا إلى قلبه ! وما لبث أن نهض على قدميه وقال :
- هيا يا "لوبين" !

وغادرنا المنزل تتبعنا غمغمة السخط من العجوز الشائبة وحملقة الحفيد ! وكان "كازينو" غائصا في يم من افكاره ونحن نقطع الطريق ثم قال لي :

- تعال نشرب قليلا يا "لوبين" ونتحدث على انفراد .

واتجه إلى احد المشربين العامين اللذين مررنا بهما في طريقنا إلى منزل "مايلاند". وهناك طلب كاسين من الشراب بعد أن اختار منضدة خالية منعزلة ثم مضى يرتشف كاسه في بطء وهو يرقبني من فوق حافة الكاس ثم وضعها امامه وقال :

- اتظنني أستخدمك لاغراضي يا "لوبين" ؟

فاجبته :

- هذا واضح لا يحتاج إلى سؤال ولذلك سئمت أو بدأ السأم يداخلني على الاقل .

- وما رايك الذي كونته عني بصراحة ؟

- الواقع انني لست واثقاً بعد فلا ادري هل أنت قديس من نوع جديد مثل "روبين هود" ؟ أم مجرد رجل يتسلم البضائع الرخيصة المسروقة ؟ وبذلك تكون اشبه بخوخة ناضجة في نظر البوليس ، فهم ينتظرونك إلى أن يحين موعد جمع الخوخ وجني ثماره .. !

ولعلني كنت فظاً في وصفي له خصوصا بعد أن سقاني الشراب ولكنني - على مايبدو - كنت متحرقا على أن اطلق لساني على هواه بعد الصمت الطويل الذي التزمته او لعلني رفعت الكلفة بيني وبينه إلى الحد الذي أسفر عن احتقاري له .ومع ذلك اجابني غير غاضب :

- رائع جدا .. استمر .

- ولقد تساءلت لماذا اقتفيت اثري وبحثت عني حتى الحقتني - قوة واقتداراً بزمرتك ، ولكنني أعتقد الآن انني اهتديت إلى السبب، وهو شدة قلقك واهتمامك بال "فاريل" وبتلك الورقة التي احضرتها "ماري فاريل" إلى لندن لـ"جوزيه سافيلا" .. ولا أعلم سر اهتمامك بذلك وإن كانت "جلوريا" تعتقد اعتقادا جازما بان "سافيلا" لو حصل على تلك الورقة لكنت انت الآن في غياهب السجن .. وهذا ينبئ بشيء ويولد عندي فكرة ما فاوما براسه وسالني :

- هل لك في كاس أخرى ؟

وأومات براسي كذلك ثم رحت ارقبه وهو يذهب بنفسه إلى (البنك) فيملأ الكاسين مرة اخرى ثم يعود بهما وهو لايزال غائصا في افكاره. وقدم لي سيجارة ثم قال وهو يرمقني :

- أنت ماهر جدا يا "لوبين" في الهبوط بالإنسان من عل إلى سابع أرض ولكني أعتقد أن هناك شيئا فاتك أن تلحظه .. فاتك أن ترى آل "سافيلا" يوشكون أن يشهروا حرباً .. سوف اقابلها بالمثل .

قلت : أو لم تعمل شيئا للآن ؟

- ماذا تعني بالضبط ؟!

- إن "برت مايلاند" ومن كانوا معه في الليلة الماضية قد استعملوا العنف مع سائقي "سافيلا"

- إنك لم تفهم ما يجري جيدا يا"لوبين" أصغ إلي .. إن سائقي اللوريين لم يقض عليهما ولكن كانت الضرورة تدعو إلى معاملتهما هكذا .. وهذه المعاملة عادية في عالم العصابات الخفية. اما ترك "برت" يموت فشيء آخر . وإذا لم نعمل شيئا فسيكون "برت" مقدمة لآخرين وسوف يعقب الضرب إطلاق الرصاص من غارات متوالية من القتل والإجرام .

- على طريقة آل "كابوني" ؟!!

- ربما .. ربما .. وخصوصا أن التعدي على "برت" يعتبر شهرا للحرب في سبيل بقاء "سافيلا" سيد الميدان .

- أظن "برت" إنما لقي مالقيه بسبب الأوراق الضائعة التي تهمك والتي فقدها "جوزيه" رغم الجريمة التي ارتكبها .. أما ما عدا ذلك فهو مجرد تبرير منك لاستغلالك الرجل من أجل مصلحتك الخاصة .

فنهض مربد الوجه حانقا وقال :

- إن فيك كثيراً من الفضائل التي تعجبني وتحببني فيك ولكنك تكون أحيانا من السخف بحيث تضيق بك أوسع الصدور ! هيا بنا لنلحق بـ"هانك" .

* * *

وخرجنا نعبر الشارع لنجد اربعة في انتظارنا احدهم رجل من

جمايكا دميم الخلقة سرعان ما اخرج يده من جيبه وفيها موسى يلتمع نصلها ، بينما رأيت اثنين يمسكان زجاجات محطمة، أما الرابع فقد شهر في يده مدية طويلة .

وأخذ الجمايكي يصفر بين أسنانه الناصعة وسط وجهه الأسود.. وأعجبني المنديل الحريري المتعدد الألوان حول عنقه حتى لقد شغلني لحظة عن التطلع إلى الموسى التي يمسكها .. وقال له الرجل صاحب المدية في غمغمة غنائية :

- لنسرع باقتناصهما .. اهجم يا "أبي"عليهما !!

فانقطع الزنجي عن الصفير وتقدم إلينا في خفة القط . وغمغمت باسم "كازينو" ، دون أن اقوى على مزيد من التحذير ، لأنني وجدت اننا في مأزق لامهرب منه !! ولمحت في نهاية الطريق امراة تحمل حقيبتين وتسير في بطء فادركت انه يسهل قتلنا قبل أن تقترب منا فلا تجد أمامها إلا جثتين غارقتين في الدماء .. وسوف تولول وتصرخ بالتاكيد ولكن بعد أن يكون القتلة قد اختفوا عن الأنظار .. وعندما يجتمع الناس حولنا سيهزون رؤوسهم ثم يتحدث الشرطي تليفونياً إلى اسكوتلانديارد بأن "نيد كازينو" وسائق (تاكسي) يدُعي "أرسين لوبين" وجدا مقتولين بعدة طعنات.

واقترب الرجال الأربعة منا وقبل أن تمتد يدي إلى مسدسي ، كان "كازينو" ينقض كالصاعقة على الزنجي فيلكمه لكمة واحدة جعلت الموسى تطير من يده وجعلته ينبطح على ظهره يشهق بالألم.. وفي اللحظة التالية ركله في صدره ثم وقف على وجهه بإحدى قدميه وراح يحطم الموسى الساقطة على الأرض بقدمه الأخرى . ورأيته ينقض على حامل المدية فيفعل معه ما فعل بزميله وإذ ذاك لم أجد مبرراً لبقائي متفرجا والخطر يهددني كذلك بمثل ما يهدد "كازينو" ، فاندفعت إلى الآخرين ولحسن حظي أطلقا سيقانهما للريح قبل أن يجهز "كازينو" على حامل المدية ويخف لمعونتي . وامسك "كازينو" بذراعي قائلا :

- أسرع .. يجب أن نبتعد من هنا في الحال يا"لوبين" قبل أن يفاجئنا أحد من رجال الشرطة في مثل هذا الموقف الذي لا أحبه

وجرينا .. وكانت المراة قد اقتربت منا وراتنا نجري نحوها

فصرخت ظنا منها أننا نعنيها بالذات ، ولكننا استطعنا أن نبلغ شارع كلافام ثم نجد السيارة "وهانك برودسون" في انتظارنا . وشاهد الأمريكي وجوهنا المربدة وسمع أنفاسنا اللاهثة فقال :

- أحدثت متاعب ؟

ولكن "كازينو" صاح :

- سق أنت يا"لوبين" عبر لندن بحيث لا تلحق بنا سيارة البوليس التي استدعيت بلاشك لمطاردتنا !

وجلست في الحال خلف عجلة القيادة وكنت أعرف المهمة المطلوبة مني فرحت أقطع الطريق في شوارع متعارضة متقابلة تضلل أذكى رجال البوليس .. حتى إذا بلغت شارع كنسنجتون ، شكرني "كازينو" ثم غادرنا السيارة وتسللنا إلى مشرب شاي ... ثم غادرناه بعد قليل واشترى "هانك" آخر الصحف بعد انقضاء ساعة واحدة على الحادث فإذا بها أخبار معركة بين العصابات نشبت في شارع كلافام وشد ما كانت دهشتي حين قرأت أن اثنين وجدا مثخنين بالكدمات والرضوض وقد أعماهما - مؤقتا - غاز النوشادر !! ثم مالبث "كازينو" أن قال :

- هذا يذكرني بضرورة التخلص من النوشادر . وأخرج من جيبه مايشبه مسدس الأطفال ينتهي بكرتين من المطاط الأخضر فألقاه بصندوق للفضلات في الطريق بعد أن مسحه بمنديله . وعندما عادإلى السيارة قلت له :

- أرجو ألا يعثر عليه رجال البوليس

ولكنه أجابني ساخرا :

- دع هذا الإسراف في الخيال الذي يلازم قراء القصص البوليسية هياإلى شارع هاي وهناك أخذنا (تاكسي) وطلب "كازينو" من السائق أن يقلنا إلى سوق شبرد . وجلسنا ندخن في صمت دون أن نتبادل الحديث .. وبين الفينة والأخرى كان الأمريكي يقرأ بعض سطور الصحيفة التي يقلبها حتى إذا بلغنا منتصف الطريق قال :

- أنت تعلم معنى ذلك يا"تيد" .. الحرب .. الحرب بلاهوادة . ولذلك يجب العمل بالسرعة التي تشل حركات "سافيلا" .

وفي هايد بارك نقر "كازينو" على الحاجز الزجاجي ثم طلب إلى السائق أن يقف واستدار إليّ يقول :

- هنا تتركنا يا"لوبين" ولاتخرج الليلة بل ابق مع "هاري" وسأراك في الصباح مشرقا مبكرا .

وهبطت من السيارة بينما كان الأمريكي مازال مستغرقا في صحيفته . ولما اختفت السيارة عن عيني في شارع بيكاديللي عبرت الطريق نحو فكتوريا . وشعرت بانني في حاجة إلى بعض الشراب فدخلت محطة فكتوريا ، ثم جلست في مقصفها أشعل سيجارة وأحتسي كاسا من الشراب : وماإن جذبت نفسين من سيجارتي حتى سمعت صوتا مالوفا يخاطبني قائلا :

- من كان يتصوران أعثر على الرجل الذي أود أن أتحدث إليه ؟!

واستدرت لأجد إلى المنضدة التالية - على امتداد ذراعي - المفتش "دافيد سون" فقلت :

- هالو . ماذا تفعل هنا ؟

وهو سؤال سخيف إذ يوجه إلى رجل يقضي وقته في مطاردة اللصوص والقتلة ؟

ولكن الكلمات انطلقت من تلقاء نفسها لحاجتي إلى النطق باي شيء وإخفاء اضطرابي لتلك المقابلة المفاجئة . وكان يدخن غليونه في هدوء ورمقته في شك ولكنه لم يبال بل رشف رشفة من فنجان قهوته ثم قال :

- أنا نازل لتوي من القطار يا"لوبين" ، وكنت أفكر فيك كما قلت لك لأتحدث إليك قليلا :

فدفنت أنفي في كاسي وأنا أغمغم قائلا :

- أي خدمة أستطيع أن أؤديها يا مستر "دافيدسون"؟

فابتسم وقال :

- شكراً يا"لوبين".. اسمح لي أن أطري حلتك الجميلة :

ومد يده بتحسس صوفها ثم قال :

- كنت أقوم ببعض تحريات عن موت الكابتن "فاريل" .

قلت وأنا اقبض جيداً على كاسي حتى لاتسقط من يدي :

- الكابتن "فاريل"

- نعم .. زوج المرأة التي قتلت في سيارتك .. ويبدو انه قتل منذ زمن قريب في حادث قارب ، والشيء الوحيد الذي يدعو للتحري مايلابس ميتته ويثير شكا في أن يكون الحادث مبيتاً . الم تسمع بذلك ؟

- كلا .. وماذا يحملك على الظن بإنني أعرف شيئاً عن الحادث ؟

- ولماذا ترتعب هكذا ؟

- أنا لا أرتعب ولكني فقط متعب وفي حاجة إلى النوم .

- ربما بحثت عنك مرة أخرى .

وشعرت بانه يعني انتهاء الحديث عند ذلك الحد فقلت :

- ولكن لماذا ؟

- قد أحتاج إلى معونتك .. في البحث عن بعض الأوراق .

ثم تفرس في قليلا ونهض واقفا وهو يقول :

- هذه الأوراق ضاعت في الوقت بين حادث الكابتن "فاريل" وحادث زوجته إلى اللقاء يا "لوبين" وارجو أن تحافظ جيداً على صحتك !

وخرج من المقصف فانتهيت من كاسي ثم أطفأت سيجارتي متقززاً وكلي شعور بحاجتي إلى الانفراد بنفسي ، في مكان ما ، لأخلو إلى تفكيري ، فقد تملكني إحساس غريزي بأن لدي كثيراً مما يستدعي التفكير الطويل ... وعدت إلى الحجرة والتي يشاركني فيها "هاري بيكس" فوجدته راقداً في فراشه يقرأ رواية بوليسية . وتطلع إلى من خلف روايته قائلا :

- لي حديث مهم معك .. إن "نيد" تحدث تليفونيا منذ عشرين دقيقة وهبطت إلى الطابق السفلي وتلقيت منه رغبته في أن يراك في الحال وأن تذهب إليه في السيارة الصغيرة التي أدخلناها الحظيرة ليلة أمس .

فقلت حانقاً :

- أيظنني سائقاً طوال الليل والنهار ؟!

- لاتحنق يا "لوبين" فإن الأمر خاص بـ"بيرت" الذي يلفظ انفاسه الأخيرة وستذهبان إلى المستشفى معا .

والقى مفتاح الحظيرة إلي ثم مفتاح السيارة وهو يقول :

- أسرع بالله عليك يا "لوبين" .

الفصل السادس

كان "كازينو" يذرع الرصيف عندما كنت أتبع سيارة كبيرة في طريقي إلى سوق شبرد ، فلما شاهدني أسرع إلي يقول :

- بالله اين كنت ؟

وكان بادي الغضب والهياج ويود لو يمزقني إرباً فتطلعت إليه غير عابئ بثورته حتى إذا جلس إلى جانبي قلت له :

- كنت أجيئك بأنباء طازجة من المفتش "دافيدسون" فهو الآن يبحث ويتحرى حادث الكابتن "فاريل" ووعد بأن يطلبني عند الحاجة ، وكان شديد القلق واللهفة على الاهتداء إلى بعض الأوراق الضائعة .

فغمغم ساخطاً .. وحاولت أن أكون لحوحاً فسألته :

- إلى أين تذهب ؟

وكان غائصاً في لجة من التفكير فأجابني في اقتضاب :

- إلى مستشفى لامبيث.

ورأيت أن أتركه في غمرة تأملاته ، ورحت أتطلع إلى نهر التاميز .. وأخيراً راح يطرح علي بعض أسئلته :

- ماذا قلت للمفتش "دافيدسون" ؟ ماذا كان يعمل في المحطة؟ وماذا حملك إلى هناك ؟ وماذا قلت عن الأوراق ؟ .. إلى غير ذلك ..

فأجبته دون توسع.. وعاد يخلد إلى الصمت إلى أن بلغنا المستشفى .. ولما دخلناها وثب رجل للقاء "كازينو" الذي قال لي عندما رآه :

- هذا "تيد جيمر" .. كان مع "برت" في الليلة الماضية .

ثم قال للرجل :

- كيف حاله الآن ؟ أما زال قادراً على الكلام ؟

فأومأ "جيمر" برأسه ثم قال :

- إن حالته سيئة جداً يا "نيد"، ولكنه يرهق الممرضات لأنه يود رؤيتك والتحدث إليك .. إنه لم يذكر اسمك بالتأكيد وإنما ظل يسأل عني فلما ذهبت إليه ألح على طلب التكلم معك ليخبرك بشيء مهم قبل

ان يجروا له العملية الجراحية خشية ان يموت دون أن يفضي إليك بدخيلته .

واختنق الرجل بالبكاء ثم غمغم حانقا :

- لقد قضى عليه الأوغاد !!

- وساله "كازينو" :

- اتعرف فيم يريدني يا"نيد" ؟

- نعم .. تقريبا.. فقد أخبرني أنه يعرف اثنين ممن صرعاه وحاولا قتله .. اثنان من عصابة "فنزبوري" ..

كان أحدهما الزنجي الجمايكي المعروف باسم "آبي" والمسمى "آبسي كارفر"، وأظنك تذكر أنه كان في المحكمة عدة مرات . ثم كان هناك "فات لوي" .

- أقرأت آخر الصحف يا"نيد" ؟

- لا لأنني زاهد في الصحف منذ ليلة أمس .. ولكن لماذا ؟

- إن "آبسي كارفر" و"فات لوي" قد تحطما بعد ظهر اليوم .. كان يجب أن يبتعدا عن بريكستون

ثم استدار إليّ قائلا : تعال يا "لوبين" .

وتركنا "جيمر" يحك صلعته ويحملق إلينا حائرا . وأرشدتنا ممرضة إلى العنبرالذي يرقد فيه "برت" .

وكان المسكين غارقا في ضماداته وتفوح منه رائحة المطهرات ، وبعد أن أحاطتنا المرضة بالأستار قالت :

- أرجو الا تزعجاه أو تثيراه .

فلما ابتعد وقع قدميها قال "كازينو" يسال المريض :

- كيف حالك يا"برت" ؟

فتحركت الضمادات التي تغطي "برت مايلاند" وارتفع من بينها صوت واهن :

- شكراً.. إنني اسمعك يا "نيد" .

- اصغ إلي يا"برت" . لاتشغل بالك بالوغدين "آبي كارفر" و"فات لوي" فإنهما يأسفان الآن تماما على نفسيهما .. أصغ إلي.

ثم انحنى عليه وحدثه بمغامرة بعد الظهر وبزيارته لزوجته وما

تلاها من العراك الدموي .. وسمعت من "برت" غمغمة الرضا بين أونة إلى أخرى ثم سمعته يقول :

- احترس يا"نيد" فإن "سافيلا" كما قالوا ينتوي لك الشر ، وبدونك لا نستطيع مناهضته ومحاربة سوقه السوداء .. احترس لنفسك يا"تيد" ما استطعت ..

فربت عليه "كازينو" في حنو وهو بادي الجزع عليه ثم قال :

- لاتخف يا"برت" فنحن في وسعنا أن نهتم بكل شيء وبزوجتك.

وعادت غمغمة الرضا والشكر تتصعد من بين الضمادات وأخيراً قال "كازينو" في هدوء :

- أتسمعني جيداً يا"برت" ؟

- نعم يا "نيد" .. تكلم .. إنني عاجز عن شكرك من أجل عنايتك بـ"دوللي" فإنني لا أحب أن تعاني أو يقع لها مكروه .

وزاد انحناء "كازينو" عليه حتى كاد وجهه أن يمس الضمادات ثم. ساله :

- اتذكر يا"برت" الخطاب الذي تلقيته من الكابتن "فاريل" يطلب فيه إليك أن تعني بزوجته إذا حدث له شيء ؟

- أوه .. نعم .. لماذا يا نيد" ؟

- ألم يقل لك ما هي المساعدة التي يرجوها منك لنفسه أو لزوجته؟

- أنت تعرف أنني كنت الخادم المراسلة للكابتن "فاريل" ، وانه كان في قلم المخابرات السرية ، وبذلك تسنى لي أن أعرف أشياء كثيرة مثل البحث عن كليشيهات ضائعة أعتقد أنه اهتدى إلى معرفة الكثير عنها ، وأنها كانت لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية ..

وإذ ذاك أزيحت الستارة جانبا وأطل راس الممرضة بعينيها الحادتين ثم قالت :

- أن أن تذهبا الآن لأن الطبيب يمنع أي إجهاد للمريض ، ولولا أن العملية في الصباح لما أذن لكما في التحدث إليه .

وكانت لهجتها صارمة جافة تحمل معنى الإصرار على التخلص منا على الفور.. فتطلعت إلى"كازينو" فوجدته غارقا في أفكاره متجهم الأسارير كانما أزعجه ما سمعه من المريض .

ومالبثنا أن انصرفنا مستاذنين من "برت". ولما غادرنا العنبر واتجهنا إلى الدرج الرخامي وجدت على بسطته الأولى شبحا يرتدي معطفاً ثقيلا وقبعة كبيرة وقد اعتمد على حافة (الدرابزين). فامسكت بكم "كازينو" انبهه فافاق من تاملاته وتطلع عابساإلى المفتش "دافيدسون" الذي ابتدره قائلا :

- لاتكشر عن أنيابك هكذا يا "نيد" ! ماذا يدهشك في أن أجد لذة خاصة في مشاهدة عائدي "برت" وزائريه .

فندت عن صدر "كازينو" تنهيده عميقة ثم قال :

- كان يجب أن اتوقع أن أراك أو أحد رجالك هنا .

فابتسم المفتش وقال متظاهرا بالدهشة :

- يبدو أنك كنت متلهفا على رؤيته مع أنه كان يلح على مشاهدة "تيد جيمر" وليس "تيد كازينو" ! ولكن ربما كان حصيفا في إلحاحه لأنه يعرف أن "تيد جيمر" هو الذي يستطيع دعوتك .

ولم تغادر"كازينو" مقدرته على مواجهة العواصف في هدوء وبرود فقال :

- أظنك على أية حال تعلم أنني و"برت مايلاند" صديقان !

- هذا ما خمنته لأنني كنت اجهله وما أظنك أنت كنت تفكر كثيراً من قبل في هذه الصداقة ! والذي أرجوه أن يكون قد افضىإليك كصديق باسم من فعل به نلك ولم يفت "كازينو" ما يزخر به حديث المفتش من سخرية لاذعة ودهاء والتواء ...

ولكنه قال :

- إن ذاكرته لاتعي شيئا على الإطلاق . وقد توسلت إليه أن يخبرني.. وحاول أن يتذكر وراح يعتصر راسه بكل قوة فإذا بالممرضة تاتي وتطلب إلينا غاضبة إن نتركه في الحال .

فهز مفتش البوليس راسه وقال :

- إذن فلا فائدة !؟

- كان بودي لو أستطيع أن اقدم لك أية مساعدة ممكنة .

- وهل هذه أمنية مسيو "ارسين لوبين" يا ترى ؟

ورأيته يحدقني بعينيه الثاقبتين في مكر وسخرية فقلت :

ـ بلا شك يا مستر "دافيدسون" فانت تعرف أنني قدمت مساعدات كثيرة لحفظة الأمن ورعاة العدالة وأنني منذ قليل جداً قدمت لكم "جوزيه سافيلا" طواعية بمحض إرادتي .

– لقد قابلته وطلب إليك أن تقابل زوج "ماري فاريل" .

– من هو ؟

– "جيمر" . وهنا علمتما أن الكابتن "فاريل" كان (مراسلته) في الحرب ثم تحرك بعيداً عنا وهو يقول :

– خير لك يا "نيد" أن تنصح "جيمر" حتى لا يصيبه في صبيحة الغد ، ما أصاب "مايلاند" ، كما أرجو أن تعلم أن لدى رجال البوليس من المهام ما هو اهم من مطاردة صبية يتعاركون في الشوارع ويتقاذفون بالنوشادر ثم يختفون !

ومضى صاعداً إلى المستشفى حتى إذا هبطنا إلى الطابق الأرضي غمغم "كازينو" قائلا :

– إنهم يرصدون حركاتنا تماما ويعلمون كل ما يحدث اولا فاولا .

وفي المدخل بنهاية الردهة انضم إلينا "جيمر" وركبنا ثلاثتنا إلى ستركويل . وهناك عندما توقفت العربة وهبط "جيمر" ، قال له "كازينو" :

– سيتصل بكم "ستيف هنري" ليحمل إليكم أوامري ، طابت ليلتك .

ومشى "جيمر" منحني الظهر داساً يديه في جيبيه . وعندما بلغنا كننجستون بدأت الأمطار تنهمر ولكنني مضيت أسابق الريح في انفعال باد فسألني :

– لماذا ترتجف ؟ هل أخافك مفتش البوليس ؟

اجبته مزمجراً :

– لست أرتجف ... ولكنني ثائر حانق بسببك .

– لماذا ؟

– إنني اتساءل عن السر في أن عثور"سافيلا" على الأوراق الضائعة كان معناه زجك في السجن !

– اظنك أكدت لي من قبل أن"ماري فاريل" جاءت إلى لندن بتلك الأوراق لتقابل "جوزيه" فهلا فكرت في أن تكون هذه الأنباء زائفة؟ –

- ماذا تعني ؟

- أعني ألم يخطر ببالك أنها ربما جاءت لتقابل شخصا آخر يكرهه "جوزيه" مثلا ؟

- كلا ... لماذا ؟

ولكنه بدل أن يجيبني لمس ذراعي برفق وسألني :

- هل أكلت منذ الغداء يا "لوبين" ؟

وتذكرت معدتي الخالية ، فقلت : لا .

- إذن نأكل لأن عصافير بطني تتصايح محتجة على طول نسيانها.

وتناولنا الطعام في مطعم صغير بالقرب من شارع فوكسهول.. وكان طعاما يتناسب بالتأكيد مع حجم المطعم ولكنه ملأ بطني وحسب . ثم جلسنا نحتسي القهوة وندخن وإذا بـ"كازينو" يخرج يديه من جيبيه ويقول :

- أعرني جنيهاً يا "لوبين" فقد جئت بلا نقود ولم اصدقه ، ولكني أخرجت حافظة نقودي وأخرجت جنيهين .. وبدلا من أن يأخذهما خطف الحافظة وهو يقول :

- لاتغضب فإن فكرة خطرت لي !

قلت :

- خذ ما تشاء فلا تهمني النقود .

فتطلع إلي لا يدري هل يصدقني أم يبحث عن السخرية الكامنة في حديثي ؟! ولم يأخذ الجنيهين بل التقط الورقة التي تحمل رقم تليفون "جلوريا" ثم أعاد لي حافظة نقودي واحتفظ بالورقة وهو يقول في رفق:

- فقط أردت ألا أتيح لك فرصة الرفض يا صديقي ... انتظرني هنا .

وغادرني ومضى خارجا من المطعم ، فطلبت قدحا آخر من القهوة وأشعلت سيجارة جديدة وأنا حائر كل الحيرة ! وبعد ربع ساعة عاد متجهم الأسارير وجلس ليحملق إلي كأنما يود أن يقرأ في عيني الجواب عما يكر به ويحيره ، ثم قال وهو يخرج قصاصة الورق :

- اسمع يا "لوبين" ! لقد طلبت هذا الرقم الذي بهذه الورقة فأجابتني امرأة غريبة الصوت ليست "جلوريا" .

قلت :

– لعلها تقيم مع امراة أخرى ؟

– هذا ما ظننته فطلبت إليها أن تدعو "جلوريا ترنت" ...

فقاطعته قائلا على الفور :

– ترنت ؟ إن هذا ليس اسمها .

– كان اسمها "جلوريا ترنت" وقد تزوجت "جوزيه سافيلا" ، أما اختها "ماري ترنت" فقد تزوجت "فيليب فاريل" . والعجيب أن المراة التي حدثتني قالت : «أنا "جلوريا" . ماذا تريد ؟» وايقنت أنها – كائنا من كانت – تكذب علي ، ولكنني اردت أن أستوثق أكثر من ذلك فقلت لها : «إن بارني ويلز" يريد أن أحمل لك شيئاً مهما فاجبتني : «يسرني ذلك متى تجيء؟» فقلت لها :" في مدى ساعة أو أكثر قليلا" وتوقف "كازينو" لحظة أشعل فيها سيجارة لنفسه ، ثم ظل يحملق إلى لهب عود الثقاب إلى أن طفئ ، فرماه في طبق الفنجان وعاد يقول :

– وإذ ذاك اتصلت بالدليل وزعمت أن لي صديقا بهذا الرقم ولكنني لم أستطع أن اتلقى جوابا عن مكالمتي التليفونية ، ولذلك أرجو أن اعرف عنوانه لأرسل له خطابا بالبريد . ولم ياطالبني الدليل باسم هذا الصديق بل بادر يبلغني العنوان فكتبته على الورقة تحت رقم التليفون .

وتناولت منه القصاصة فوجدت أن "جلوريا" كانت قد كتبت عليها بخطها الأنيق «سبدويل "٩٠٢٥١" فإذا تحت ذلك وبخط "كازينو" ٢٥ شارع ريباك» ودسست الورقة في جيبي فقال "نيد" :

– خذها فإنني حفظت الرقم التليفوني والعنوان ، ومارايك الآن في انها لم تكن "جلوريا" ولم تتصنع صوتها ؟

– وانت ؟ الا يجوز أنك تصنعت صوتك ؟

– هو ذلك فقد تكلمت من فوق منديلي ولكن المهم أن "بارني ويلز" كان يوما ما صديقي وصديق "جلوريا ترنت" ثم مات ، وتعلم "جلوريا" أنه ميت فكيف جازت عليها حيلتي إذا كانت هي المتكلمة ؟

– الم تخمن من تكون إذن المراة التي حادثتك ؟

– لاأعلم ولا أجد في راسي غير"ليلان" .. زوجة "مانويل سافيلا"

وتذكرت منظر عاشق هذه المرأة عندما أهوى على الحارس "رولنجز" بالمفتاح ذي الصامولة ، ثم قلت :

- وماذا يحملك على هذا الظن ؟

- كراهيتها البالغة لـ"جلوريا" .. أنت تعلم ذلك لأنها كانت تحب "جوزيه" ولكن "جلوريا" انتزعته منها فكانت أن تزوجت ليل من "مانويل" أخيه ثم أقامت الدنيا حولها .

وصمت لحظة ثم قال :

- أظنك مازلت تعجب كيف أمكنني أن أدهم بنسيون لارش في الليلة الماضية ؟

ولما أومأت برأسي استطرد يقول :

- كان "هانك " يراقب ليل عندما خرجت مع "لاري فينكس" ، وهذا الجلف صديق حميم لزوجها ولكنه مغرم بها إلى حد الوله ؟ وهي في الواقع لاتبادله الحب ولكنها في الغالب تتظاهر بذلك لتستغله وتجعله يتبعها كظلها أو بالأحرى ككلبها ، وفي الليلة الماضية جعل "هاري" عربة "لاري" هذا ترتطم بأحد الجدران وتعجز عن مواصلة السير فاضطرت "ليل" إلى الانتقال إلى تاكسي بعد أن تركت بصمات أصابعها على دفتر حسابات صغير لشركة السيارات كنا قد نسينا أن نعيده إلى مكانه عندما رحلنا بمسدس "لاري فينكس" والمفتاح الصامولة وقد نزل "لاري فينكس" في مكان بالقرب من ساونجيت ليمضي إلى منزله وهو يعرج بالألم.

ثم أطفأ سيجارته واسترسل يقول :

- لهذا لم أفكر في غير"ليل" لأنها قد تدخلت في امر أثار مخاوفها فأرادت أن تصلح مارتقت وأن تقوم ما أفسدت ، فمضت تحاول مع "لاري" أن يلصقا تهمة بـ"جلوريا" ،

ولعلهما انتظرا طويلا إلى أن تمت لهما مفاجاتها معك في بنسيون لارش .ولعل "لاري" قضى الأيام القليلة الماضية يتبعك أو يتبع "جلوريا"، ولعله رآكما تلتقيان فأبلغ "ليل" أن فرصتها للانتقام قد اتيحت .

ثم صمت لحظة ليشعل سيجارة أخرى كعادته في الإسراف في

التدخين طيلة قلقه وانفعاله وأخيراً قال :

- وهذا يتطلب سؤالا وهو أين "جلوريا" الآن ؟ أنا لا أعلم فقد تكون "ليل" قد اقحمت "مانويل" في الأمر لتفيد من تدخله ، هذا ما يجب أن أعرفه وأظن الفرصة قد حانت لأن تساعدني يا "لوبين" بما عرف عنك من ذكاء ودهاء وبدل أن تظل متفرجا هكذا بخلاف طبيعتك .

ولأول مرة شعرت بانني يجب أن أعمل عملا إيجابياً فقلت :

- ألم تخبرها من أنت !

- كلا ولم أذكر لها اسماً قط . أتعني أنك ستذهب إلى هذا العنوان وتفاجئها هناك ؟

- نعم وهل تعتقد انني سأجد "لاري فينكس" معها هناك ؟

- لا استبعد ذلك لأنه يلازمها كظلها .. وفور أن تمضي من هنا سأتصل تليفونياً بـ"فريد" ليلحق بك . خذ السيارة الصغيرة وحاول أن تعرف أين ذهبت "جلوريا" .

- يالها من مهمة سهلة جداً !!

- أنا واثق أنها سهلة بالنسبة لك ولعلها تنتظرك الآن لتعرف أي أمكنة أخرى خزن فيها "جوزيه" أسلابه . إن "ليلان" شرهة وعاشقها "لاري" طموح .

ولم افكر آنذاك في غير"جلوريا"وسلامتها فنهضت على قدمي وأنا أقول :

- من يدريني أنك تحدثت إلى هذا العنوان فعلا ؟

فقال باسما راثيا :

- ما أسهل أن تسأل الدليل وتعاود محاولتي لتطمئن إلي .. ثم لاتنس أنها تقيم في الشقة رقم ١٧ ..

- وعند الباب أمسك بذراعي وقال :

- لاتطرق الباب قبل خمسين دقيقة لتمنحني فرصة العمل . مع السلامة يا "لوبين" .

ورأيته يعبرالطريق وينادي سيارة ... وأسرعت أستقل السيارة (الصالون) الصغيرة إلى شارع ريباك ، وأنا أنهب الطريق كأنما يلح بي الشوق إلى فتاتي الفاتنة !

ثم عدت فادركت أن لا داعي لهذه العجلة لأن "كازينو" نصحني الا أطرق باب المنزل قبل انقضاء خمسين دقيقة ، فتمهلت في الطريق وانا افكر في موقفي من جميع زواياه واهيب بنفسي أن التزم الحيطة والتوقي لأنني لم اكن قد تبينت حقيقة العمل الذي يمارسه "كازينو" ، وإن بدأت أعجب بالرجل وبسرعة بديهته وقوة عزيمته .. ومع ذلك اعتزمت أن احترس لأن الكذب كان سهلا لديه سهولة الابتسام إذا رأى ظروفه تبرر الكذب والرياء !! ورحت اتساءل اي فخ منصوب لي في ذلك المنزل خصوصا وإن "جلوريا" طلبت إليّ أن اتصل بها بعد يومين مما قد يكون تفسيره انها ستتغيب عن منزلها هذين اليومين ، وإذن فالمرأة التي سالقاها في منزلها ليست هي كما أخبرني "كازينو" ..

وومضت بخاطري عبارة "جلوريا" عندما قالت لي إنني سوف أجعل منها أرملة وإنني كلفتها حياة أختها ، فرحت أتساءل :

- ألا يجوز أنها تعتقد أن لي ضلعاً في التآمر على أختها وزوجها؟

ولكني عدت فرجحت أنها لا تعتقد ذلك وأنها صادقة في عاطفتها نحوي، ثم عدت أسأل نفسي :

- ولماذا اشترط "كازينو" ألا اقترب من المنزل قبل خمسين دقيقة ؟ وإذا كان يزمع إرسال بعض رجاله ، فلماذا لم يؤثر الذهاب بنفسه؟ ولماذا لا تكون هذه إحدى اكذوباته ، وإنني ساواجه الموقف أخيراً وحدي ؟

وبلغت شارع ريباك وعند رقم ٢٥ وجدت بناء عصريا كبيرا تطل واجهته على حديقة واسعة ولكنني اتجهت إلى نهاية المكان المخصص لوقوف السيارات ، وهناك استدرت وعدت بالسيارة لأقف في مكان يسهل أن أبادر إليه عندما تستدعي الظروف أن أعجل بالرحيل . ووجدت عند المدخل سيارة أمريكية يبدو عليها الإعياء لفرط ما استعملت فاجتزتها ومضيت ادخل المنزل وأرقى الدرج إلى الشقة رقم ١٧ ، وكانت سابع شقة في الطابق الأول قرب نهاية ممر طويل . وسرعان ما ضغطت جرس الباب ثم وجدتني أعمل شيئا عجيبا دهشت له ، وهو انني اخرجت شارة القيادة الخضراء وعلقتها في زرار

بمعطفي ، ثم جذبت قبعتي فوق عيني ، ولعلني فعلت ذلك عندما لم يفتح الباب على التو كما كنت أرتقب ؟

وأخيراً .. فتح الباب ولم أجد أمامي "جلوريا" ولا "ليل" السمراء وإنما رأيت عملاقا عريض الكتفين تمتد ذراعاه إلى جنبيه كذراعي الشمبانزي ، وتضيق عيناه تحت أهداب ثقيلة مخيفة . وكدت اتوهمه فاتحة للشرك الذي نصبه لي "كازينو" فمضيت أحملق إليه كما يحملق الفار إلى فيل حتى ضاق بنظراتي ذرعا فزمجر في وجهي :

- ماذا تريد ؟

وخيل إلي أن ذراعيه ستمتدان وتطوقان عنقي فتراجعت خطوة وقلت :

- إن معي صندوقا في السيارة باسم "جلوريا" ويابى صاحبه أن يعطيني اجري إلا إذا حملته إلى هذه الشقة رقم ١٧ ، ولكن الصندوق ثقيل علي فارسل من يجيء به .

أسرع فليس لدي وقت أضيعه ولاتهمني سوى (الأجرة) وليذهب الصندوق إلى جهنم !

فامسك بكتفي ودفعني إلى الخلف وخيل لي أن كتفي سينخلع ثم قال :

- أواثق انه ذكر اسم "جلوريا" والشقة رقم ١٧ ؟

- بالتاكيد .. أعطني أجري فحسب فلا أريد ان أبقى هنا طوال الليل .

فعاد يزمجر :

- حسنا .. حسنا . تعال أرني أين الصندوق .

وتركته يسبقني إلى الدرج وقد ترك الباب مفتوحا وتبعته على بعد خطوتين حتى إذا هبط درجتين وأصبح تحت كتفي أسرعت أركله بكل قوتي فانكفا على وجهه وتدحرج على الدرج . وسرعان ما عدت إلى الشقة وأغلقت خلفي بابها بالمزلاج . ومضيت إلى حجرة الاستقبال المضاءة لأجدها صغيرة لا يبدو عليها أنها حجرة في شقة سيدة ، إذ كانت جدرانها حاشدة بصور رياضية ومناظر طبيعية بينما كان اثاثها أخضر لامعاً حاشداً بالمرايا والزجاج . وشممت من المطبخ

رائحة تدل على عدم التوفرعلى العناية به ثم وجدت الحمام خاويا فاغلقت بابه ودلفت إلى حجرة صغيرة للنوم توحي بانها لم تستعمل منذ أسابيع ، فعالجت باباً آخر اعتقدت أنه يفضي إلى حجرة النوم الرئيسية ، ولكن الباب كان مغلقا من الداخل وعدت إلى حجرة الاستقبال فجلست على مقعد بها ثم أشعلت سيجارة أخذت انفث دخانها على الباب الأمامي .

وفوجئت بمفتاح يدور في مخدع النوم ثم رايت بابه ينفتح وتخرج منه "ليل" بادية الجمال أروع مما كانت في الليلة الماضية. ولما شاهدتني ضاقت عيناها وهتفت : أنت ؟!

قلت : هل فاجاتك رؤيتي ؟

وارتفعت الطرقات على الباب إذ ذاك فقالت :

- يا للشيطان سوف يحطمك "ميكي" أيها البطل المسكين !

ومشت إلى الباب فصحت بها :

- إذا فتحت له وتركته يدخل فسوف تندمين أشد الندم لأن "ميكي" ثائر بعد أن عاونته على إيذاء نفسه ولن يصغي إلى نداء العقل ولن يستمع إلى نصيحتك بوجوب التروي وأثرت فيها كلماتي الهادئة المليئة بالثقة والاعتداد بالنفس فاستدارت تواجهني مرة أخرى وتسالني :

- ماذا تعني ؟

قلت :

- أعني أنك في حاجة إلى ما ساقوله لك .. ما جئت لأفضي به إليك .. أما إذا تدخل هذا الوحش الذي تسمينه "ميكي" وتركته يلتهمني أو يعصرني بين أصابعه فقد ضاعت عليك فرصة سماع مالدي ، وسوف تاسفين يا"ليل" .

فترددت قليلاً ، ورأيت فرصتي في الميزان فلم أشا أن أبالغ فاقلب خطتي المواتية رأساً على عقب ولذلك أخلدت إلى الصمت ، فمضت إلى الباب وصاحت :

- اذهب أنت يا "ميكي" فإن لدي ما أحب أن أقوله له . فقال وصوته يقطر بالألم والكراهية :

- ولكنه يا "ليل" ركلني وكادت رقبتي تدق على الدرج ! إنه ليس سائق سيارة فإنني لم أجد (تاكسي) عند الباب .

فعادت تصيح به راعدة :

- قلت لك اذهب وانتظر في السيارة .

وأدركت انه سينتظر في السيارة الأمريكية التي رأيتها عند الباب ، ولكنه عاد يضرع قائلا :

- أصغي إلي يا "ليل".. لا سلامة لك معه وأخشى أن يثور "مانويل" علي إذا حدث ... فقاطعته نافدة الصبر :

- سأعنى بنفسي .. اذهب ولا تخش شيئا .

ومضى "ميكي" فعادت إلي .. ورحت أتطلع حولي في الحجرة بدافع من حب الاستطلاع فرأيت تليفوناً اخضر بلون الستائر المسدولة على النوافذ ، ونهضت أعبر الحجرة وانحنيت على التليفون أقرأ رقمه فإذا به نفس الرقم الذي أعطتنيه "جلوريا" وكتبته على الورقة التي مازلت أحتفظ بها في جيبي ! وأيقنت أن "كازينو"لم يخادعني قط .

ويبدو أن "ليل" أساءت فهم مقصدي ، إذ صاحت بي :

- ابتعد عن التليفون يا "أرسين لوبين" .. ابتعد أيها السائق المزيف.

وعزعلي أن تنتهرني هذه الحسناء وأنا الذي كان اسمي منذ سنوات يرجف قلوب أخطر المجرمين .. ولكني ما إن استدرت حتى وجدتها مشهرة مسدسها متجهمة الأسارير فانفجرت ضاحكا وغاظها ذلك مني فقالت :

- ماذا يضحكك أيها البعوضة ؟

قلت :

- الا يكون مسدسك أخضر كذلك أيتها الفراشة السمراء .

ثم انتزعت شارة القيادة من صدري وجلست في أحد المقاعد ببطء.. ولم تشا أن تفلت الفرصة فجلست أمامي ومسدسها مازال مسدداً نحوي ، ثم قالت :

- والآن دعنا من الهذر وقل لي ما جئت تفضي به إلي .

فابتسمت وأجبتها :

- هذا صحيح .. انا هنا لصفقة تجارية . .
قالت متهكمة :
- لاصفقة على الإطلاق لأنك لا تملك ما تتجر فيه !
وخلت الزمن الذي انقضى على وجودي في الشقة ساعات طوالا دون أن يظهر أثراً لـ"كازينو" فقلت :
- أظنني أملك الكفاية لعقد الصفقة يا"ليل" ؟
فغامت على وجهها سحابة من التجهم أضاعت الكثير من جمال عينيها ولكنني أخذت بامتلاء قوامها المشوق وأعجبني أن أديم النظرإلى تلك الحيوانة الحسناء وإن كنت أعلم أنني لن أجيد ترويضها وأنها تكرهني كل الكراهية مما لمسته يطل من عينيها وأخيراً قالت في كبرياء :
- حسنا .. لنسمع مالديك .
فتركت رماد سيجارتي يتساقط على البساط الأخضر كأنما لاتعنيني توافه الأمور ثم قلت في بطء :
- اسمعي يا"ليل" .. اين "جلوريا" ؟
فتصلب وجهها حتى بدا كالتمثال ثم راحت تتفرسني صامتة كأنما تدعوني للمضي في حديثي فقلت :
- أنا لم أتصل بك تليفونيا منذ ساعة ؟
- أنا عارفة .. من الذي تحدث ؟
- رجل كان يريد أن يقول شيئا لـ"جلوريا"
- دعك من الهذر يا"لوبين"
وتأملت فوهة المسدس المسددة إليّ كأنها عين صقر يهم بالانقضاض على فريسته وبدأت أرثي لنفسي لأنها يمكن أن تقتلني بسهولة وتعهد إلى "ميكي" التخلص من جثتي ..
وأخيرا قلت وأنا أغص بريقي :
- أليست هذه شقة "جلوريا" ؟
فأجابتني وفي عينيها نظرات تتساءل عما أرمي إليه :
- إذا كنت تعني أن هذه شقة زوجها فنعم .
وشعرت بأنفاسي تبارح جسمي لأن هذه إذن شقة "جوزيه سافيلا"

ولن تعود "جلوريا" قبل يوم آخر !!

وقبل أن يتسنى لي تقدير موقفي الحرج وتبين الأخطار التي تتهددني قالت :

- أنت تكذب علي يارجل فلست تملك بضاعة على الإطلاق ولكنك تخادعني ويحسن أن أدعو "ميكي" ليتصرف معك قبل أن تهدأ ثائرته فشعرت أن كل عضلة في جسمي ترتجف وخاصة في الأمكنة التي عالجها "لاري" في بنسيون لارش معالجة لاتسر حتى ذكراها ! ولم أجد الوقت مناسباً لدخول "ميكي" فقلت فور أن وقفت على قدميها :

- حسنا . اسالي أنت وعلي أن أجيب .

فقالت : سوف أجربك . أين الأوراق التي أرادت "جلوريا" أن تبحث لها أنت عنها ؟

وهكذا عدنا إلى هذه الأوراق اللعينة البغيضة ! وكنت في الحقيقة لا أعلم شيئا عمليا عنها ومع ذلك يخيل إلى أن نصف لندن يطارد كل واحد من سكانه الآخر في البحث عنها ولم استطع أن أغوص في تاملاتي هذه طويلا فقلت :

- أنا لم أعثر على هذه الأوراق .

فصاحت بي : لا تكذب !

وهمت بأن تقف مرة أخرى فابتدرتها قائلا :

- أصغي إلي ! لقد سئمت ذكر هذه الأوراق واقسم لك أن عيني لم تجر عليها رغم ما يعتقده كل إنسان من أنني أعلم كل شيء عنها !

- كذا ! الا تعرف عنها شيئا ؟ ولكن "ماري فاريل" كانت تستقل سيارتك ولما خطف "جوزيه" حقيبتها لم يجد بها الأوراق فأين ذهبت .؟

- من أين لك أنها كانت تحتفظ إذ ذاك بالأوراق معها ؟!

فحدجت بنظراتها وجهي مليا ، ثم قالت تنصحني :

- أجدر بك وأجدى لك أن تكف عن الهذر لانني لا احبه ولا استسيغه حتى ولو كان لطيفا وفي موضعه .

ثم مالت إلى الأمام كانما ومض براسها خاطر وسالتني :

- ومن تعني بقولك (كل إنسان) يعتقد انك تعرف كل شيء عن هذه الأوراق؟

قلت :

- أعني "جلوريا" و"كازينو" و"برت مايلاند" ...

فالتقطت أنفاسها وقد تبدى عليها الرعب ، ثم وقفت على قدميها تتطلع إلي وتقول :

- أتعرف "مايلاند" ؟ إذن فانت تعلم عن الكليشيهات ونقلها ، وأظنك ستخبرني أين هي فابتلعت الغصة التي كادت تختفي ، ثم قلت في خبث لأغطي جهلي :

- ربما ..

- ربما اتفقنا إذن وعقدنا الصفقة التجارية .

ولمست جديدا في صوتها وسمعت نغمة جديدة دقت جرسا في رأسي لأنتبه إلى أن هذا هو المفتاح وأن الأوراق و"برت مايلاند" يعنيان عند هذه المراة اكثر مما تعنيه كراهيتها لي من أجل ما فعلته في "جوزيه سافيلا". ولم يفتني أن أتساءل ، ألا يجوز أنها تمثل دورا، ولكنني استبعدت ذلك تماماًوقلت :

- لاباس من الاتفاق على الصفقة .. فقط نبدأ بـ"جلوريا" .

وكان قولي هذا كافيا لأن يحيلها مرة أخرى حيوانا ضاريا إذ صاحت :

- لعنة الله على "جلوريا" ! انتظر دقيقة .. فربما كان لها دخل في ذلك !!

ولكني لم أدع لحظة واحدة تمر بل قلت قبل أن تتحرك في مقعدها :

- نعم لها دخل إذ بدونها لا يمكن حمل "مايلاند" على الكلام ... إنهم سيجرون له العملية الجراحية غدا وربما مات من جرّائها . الا ترين أنه كان من الغباء والحماقة إيذاء الرجل إلى هذا الحد الذي يهدد حياته !؟

- هذا ما قلته لـ"مانويل" ..

- وهذه الغلطة تشبه غلطتك في أن تهدديني بأن ياكلني هذا الغول المدعو "ميكي" !

فلم تضحك ولم تبتسم بل قالت على الفور وكانها امرأة أعمال:

- حسنا يا"لوبين".. لنبدأ بـ "جلوريا"..إنها الآن في نادي (سيلفر)

آمنة ولا يهددها خطر . وكذلك لا حاجة بـ"مانويل" إلى أن يعلم بما سوف أتفق عليه معك . أفهمت ؟

والحقيقة أنني لم افهم إذ كنت رجلا يتخبط في دياجير غرفة مظلمة وقد أوثقت يداه وربطت عيناه فلا يقوى على رؤية أو حراك.. وكل الذي فهمته أنها تريد أن تستغلني بدورها لو استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وأنا الذي كنت أضحك عاليا ممن يحاولون استغلال "أرسين لوبين" الذي دوخ الدنيا ثم قنع في هذه المرة بان يكون متفرجا وأن يكتفي بأن يشبع حب الاستطلاع في نفسه الطفيلية .

وكنت أعلم أن نادي (سيلفر) من أسوأ المنتديات الليلية سمعة وصيتاً وأنه في سوهو ، ولكني لم اكن أعرف من يتولى إدارته إلى أن حدثتني بذلك "ليل" عندما اومأت إلي أنه منجم الذهب بالنسبة لـ"سافيلا" .. "مانويلا سافيلا" الذي يحتفظ بـ "جلوريا" سجينة لديه.. وقلت في بطء :

- انت ذكية يا "ليل" وتنتظرك ثروة كبيرة ، ولكن الأمور تحتاج إلى مهارة في تصريفها .

والله وحده كان يعلم ما أعنيه ، لأنني إنما نطقت بكلمات فحسب بغرض التغرير بالمرأة وحملها على الكلام الذي يكشف لي عن الكثير مما أجهله وتظنني أعلمه ..

وأومأت براسها موافقة ثم قالت :

- سنتولى تصريف الأمور بكل حكمة يا "لوبين" ، وبكل حذر .

وابتسمت لي لأول مرة ابتسامة عريضة .. والواقع انني استطعت أن أعلم من لهفتها على الاتفاق الخفي بيننا انها تتحرق على الثروة التي سوف تجلبها تلك الأوراق وتنسيها كل شيء حتى "جوزيه سافيلا" . ووضعت ساقا على ساق ثم قلت في صوت خافت :

- هناك شيء واحد يجب أن تفهميه يا"ليل" .. وهو أن "جوزيه" يجب أن يذهب لأنه لاسبيل إلى الثروة مع وجوده .

وأعماها الطمع فاخذت بفكرتي على التو ، وأحست كأنما الثروة التي نتحدث عنها قد هبطت في حجرها واصبحت حقيقة ماثلة تتغلب في نفسها على كل شعور أو عاطفة أخرى . وبرقت عيناها بالابتسام

والتمعتا اشبه بشمعة موقدة .. ووددت أن أنفجر ضاحكا لولا ان وجدتني واقفاً على حافة هاوية ، إذ أوقفت نفسي على شفا صخرة عالية تكفي خطوة طائشة واحدة لأن تجعلني أتردى عند سفحها جثة هامدة . وجعلت أتساءل أين "كازينو" أوأعوانه وقد انقضى وقت طويل على الزمن الذي حدده لدخولي تلك المصيدة واقتحام هذا الفخ اللعين ؟

وتطلعت خفية إلى معصمي لأرى الساعة فوجدت انني مكثت في الشقة خمساً وعشرين دقيقة خلتها أعواما طويلة . وقامت "ليل" لتجلس بجانبي وهي مازالت ممسكة مسدسها ولكنها لم تكن تسدده إليّ في هذه المرة ، فأدركت أنها رغم لهفتها ليست من الغباء في شيء ، ورثيت في نفسي لذلك المغفل "لاري فينكس" الذي تستغله هذه المرأة الداهية لمصلحتها وتوهمه بانها تحبه . ولكن رثائي للرجل الأحمق كان ممزوجا بحقدي عليه ورغبتي في أن انتقم منه .

وملأ أنفي عطرها الساحر ، وأدركت أن حظها الكبير من الثقافة لم يجعلها تنسى أنها حواء الفاتنة الخالبة لألباب الرجال وخاصة من يجب أن تستغلهم ويجثوا عند قدميها .

وشعرت بالمغص عندما أيقنت ان آخر ما في جعبتي من اكاذيب قد انتهى ، وأنني لو نطقت بكلام آخر فربما كشفت للمرأة عن خدعتي .

وانقذني الجرس الذي قطع حبل الصمت الثقيل اشبه بقصف الرعد.. وتطلعت إلى التليفون ولقيت صعوبة كبيرة في منع عيني من أن تغلقا في صلاة شاكرة سريعة .

وتحركت المرأة وانبعث العطر من شعرها وثوبها قويا ، ثم صاحت ساخطة وهي تقف على قدميها :

- سحقاً لهذا التليفون !

ومضت إليه والمسدس في يدها ، ثم التقطت السماعة وقالت في صوت حريري :

- هالو ..

وتولتها موجة من الدهش فصاحت :

- من .. "مانويل" ؟ ماذا حدث بالله يا "مانويل" ؟

الفصل السابع

وجلست في مقعدي ماخوذاً بالتغير الذي طرا عليها بعد أن سمعت أول كلمات المحادثة التليفونية . ورحت أرمق مشدوهاً توالي الياس والعجب والاضطراب على أسارير المرأة الجميلة ثم كيف عضت شفتها السفلى القانية باسنانها الناصعة في قسوة وكيف شهقت بعد ذلك وقالت :

- نعم .. ساتخذ كل حيطة وحذر .. نعم أعدك ذلك .. كلا ليس "ميكي" هنا فقد ركله "ارسين لوبين" على الدرج ثم أسرع يدخل ويغلق خلفه الباب بالمزلاج .

وراحت تصغي طويلا ثم نصبت قامتها في توتر غاضب رغم ارتجاف جسمها إلى أن قالت :

- يا للهّ ! إنني اكرهك يا "نيد".. أحب أن أراك ؟!.أنت .. حسنا.

ثم القت السماعة على المنضدة واستدارت تتفرسني لحظة ثم قالت لي في لهجة بغيضة :

- يريد أن يتحدث إليك .

وعجبت كيف تكلمت مع "مانويل سافيلا" ثم مع "نيد كازينو" وتساءلت اي جدران اربعة يمكن أن تضم هذين الرجلين معاً ؟! وشعرت بكابوس يجثم على صدري وقد خلتني فريسة اتفق عليها الخصمان "سافيلا" و"كازينو" واتخذا منها كبش الفداء ! وقمت أمسك بالسماعة واضعها على اذني ثم قلت :

- هالو .. انا "ارسين لوبين".

وخفت أن يفلت زمام التعقل من يدي "ليل" فتطلق على ظهري مسدسها ثم سمعت صوت "كازينو" يسالني :

- اهذا انت يا "لوبين" ؟ لقد قمت بدورك جيدا ولكن يجب الا تبقى عندك لأنك سوف تتعرض بعد قليل جداً لغزوة من أخطر الغزوات.

فصحت غير واثق بما سمعت :

- أتعرض لماذا ؟

فاعاد قوله ؟

- قلت سوف تتعرض لغزوة خطيرة جدا .

فوضعت يدي على بوق السماعة واستدرت للمرأة أقول لها :

- يقول إنني وأنت سنتعرض للغزو بعد لحظات .

ولكنها أجابتني ثائرة :

- سحقا لك وله .

فعدت أتحدث إلى "كازينو" قائلا :

- لقد حدثت "ليل" بالغزوة المنتظرة فلم تصدق وتمنت أن أسحق معك سحقا .

ولكنه لم يضحك كما كنت أتوقع بل قال في صوت صارم جعل الدماء تهرب من شراييني :

- دعك من الهذر فإن الوقت يجري جريا وإذا لم تتحاش الغزوات أوقعت نفسك في المتاعب .

قلت محاولا أن أتماسك وألا أسفر عن جزعي :

- لقد ظللت أكثر من نصف ساعة ..

ولكنه قاطعني قائلا :

- أصغ إلي . أنا الآن في نادي (سيلفر) وقد تحقق ما كنت أعتقده من أن "ليل" تلعب هذا الدور مع عزيزنا "مانويل"، و"جلوريا" في حاجة إلى المعونة بعد أن نجحت "ليل" في جعله يأسرها بدعوة مزيفة إلى النادي ظنا منهما أن يكون البوليس مازال يراقب شقة القاتل المتهم .

ويبدو أنه سمع أسناني تصطك لأنه صاح بي على الفور :

- ماذا تقول ؟

فاجبته : لاشيء

وعاد يتكلم بسرعة كانما كان يريد حشد أكبر عدد ممكن من الكلمات في أصغر حيز مستطاع من الوقت :

- لقد تاكد لي أن الشقة غير مراقبة من البوليس وأن "ليل" كانت تتوقع أن يتصل إنسان بـ "جلوريا" فاستعانت بـ"ميكي فارجس"

- لقد ركلت "ميكي" على الدرج ويود الآن لو يمزقني إربا إربا وفي هذه المرة انفجر "كازينو" ضاحكا ثم قال :

- سأبلغ "مانويل" ما فعلته برجله العملاق .

ولم يرقني هذا المديح واستطرد يقول :

- فور أن أخبرت "ليل" زوجها "مانويل سافيلا" بما حدث جمع أعوانه وطلب إليهم أن يدهموك في الشقة .

- أهذا هو الغزو ؟ وماعساي أن أصنع ؟

- سأتصل حالا برجال البوليس ليخفوا إلى نجدتك فيتبع الغزو غزو آخر أدهى وأنكى ..

- هل من مزيد ؟

- نعم .. عندما يدخل رجال "دافيدسون" اهتم بأن يكتشفوا القاع الزائف للدولاب الموجود بحجرة النوم الكبيرة .

وأقفل السكة قبل أن أمطره بسيل من الأسئلة فاستدرت إلى المرأة التي كانت تراقبني باهتمام ، وسألتها على الفور :

- أتعرفين أن رجال "مانويل" قادمون في طريقهم إلى هنا وتكتمين عني الخبر ؟!

فأجابتني ساخرة :

- وهل تخشى المتاعب إلى هذا الحد يا "أرسين لوبين" ؟

- إذن فأنت بسبيل استجوابي يا "ليل" ؟ إنك كنت ستظفرين مني ببعض الحقائق الطريفة ومع ذلك لاتجزعي لما سوف ألقاه دون أن أفضي إليك بما يهمك .

- إنني أرحب بأن يعطي "مانويل" درسا قاسيا لكل أفراد الكوماندو العاملين تحت لواء "كازينو" إلى أن يجيء دور"كازينو" نفسه .

- ولكنك تعلمين أن "كازينو" أستاذ يعطي غيره دروساً ! وما كنت أعتقد أن تقضي هكذا هادئة وأن تخفي عني خبر قرب مجيء أعوان "سافيلا" لتمزيقي ونهش أشلائي !

- ولماذا أخفيت أنت عني أن "كازينو" ذهب مع أعوانه إلى نادي"سيلفر" فلم أعرف إلا عندما كلمني فور أن انتهى "مانويل" من حديثه معي ؟

فهززت رأسي ثم قلت :

- ثقي أنني لم أكن أعلم أين ذهب وأنني جئت هنا لأنه طلب إلي

ذلك وأدركت من حديثه أنه سيلحق بي بعد قليل .

وكانت تجري الأمور في تلك الشقة كانما يحركها مخرج ماهر ، إذ سرعان مادوت الطرقات على الباب وارتفع صياح (ميكي فارجس) أشبه بولولة المختنق :

- الأولاد هنا يا "ليل" ..افتحي !

وبدا على "ليل" أنها لم تعد تقوى على احتمال التحدث إلى سائق السيارة الماكر فجرت إلى الباب ثم رفعت مزلاجه ودعتهم قائلة :

- ادخلوا يا أولاد .. تفضلوا والهبوا ظهر هذا السائق الهاوي!!

وسرعان ما دخل حوالي ستة يتقدمهم "ميكي" وقد ارتسمت الدمامة والقسوة على وجوههم . واندفع "ميكي" نحوي فانشب إحدى يديه في كتفي وضغطها بقوة ووحشية احسست معها أن لحمي قد هراته مخالب فولاذية . وفي اللحظة التالية كنت منبطحاً على الأرض وركبة الوغد على بطني ، ثم راح يكيل لوجهي اللكمات في غير مارحمة أو هوادة . وسمعت أحد الأعوان الأبالسة يهيب به :

- حطم الأحمق بقدمك يا "ميكي"

وضجوا في ضحكاتهم بينما كانت تنهال ركلاته عنيفة على جسمي وتصطدم بعظامي .

ويبدو أنني أفسدت عليهم لعبتهم بعدم مقاومتي ، وكانما جرح ذلك كبرياءهم فازدادوا وحشية وراحوا يتعاونون على لطمي وركلي حتى وددت لو يغمى علي فلا أحس بتلك الضربات القاتلة . ومنعتني عزة النفس من الصياح بالضراعة وطلب الرحمة والشفقة، ولو حاولت لما وجدت أنفاساً كافية للصياح!! ولم اقو على فتح عيني وقد غامت عليهما سحابة حمراء وأخيراً حاولت أن أصرخ لعلي استنفد آخر طاقة في كياني فيعاجلني الإغماء واستريح لحظات من الامي المبرحة... ثم سمعت وكانني في حلم صوت المراة وهي تقول :

- كفى يا أولاد . كفى يا "ميكي" .. لقد قلت كفى الا تسمعون؟!

وانقطعت عني الركلات والضربات لأسمع صرخات أخرى وجلبة وصياحا ، واحسست بشيء يلمس اعصابي ويبدد غشيتي ففتحت عيني في بطء لأرى رجلين يحملانني إلى الحمام يغسلان جراحي

وكدماتي بقطع من الإسفنج و الماء البارد .. وصاح أحدهما :

- مرة أخرى

فإذا برأسي ينغمس مرة اخرى في حوض الماء البارد . وشهقت عندما وضعت على وجهي خرقة كبيرة مبللة وامتلأ فمي برائحة قوية منعشة . ولما فتحت عيني مرة ثانية قال لي أحدهما :

- أظننا جئنا في الوقت المناسب يا"لوبين" .

وأحسست أن صوته مألوف لدي ومالبثت أن تفرست فيه لأجده الضابط "نيكلسون" الساعد الأيمن للمفتش "دافيد سون" الذي لايمكن أن يكون بعيداً عن ذلك المسرح في تلك اللحظة .

* * *

ونقلاني نصف محموم ونصف مسحوب إلى غرفة الاستقبال . وفي تلك الأثناء أمكنني أن أحرك عيني فتطلعت إلى المرآة لأشاهد منظراً لايسر ! وتمددت حزيناً على جمالي الذي شوهه الأوغاد !! وسرعان ما وجدت "دافيدسون" يضع مقعدا بجانبي ثم يسألني في صوت جاف :

- أتقوى على كلامي يا"لوبين" ؟

فقلت :

- سأحاول .. سأجلس أولا

ولكن محاولتي جعلتني أتصبب بالعرق وأشعر بالألم يرعشني، بيد أنني تحملت ، وتجلدت لأن الغيظ كان يتملكني ورغبتي في الانتقام كانت تلهبني .. وعدت أقول :

- سأحاول أن أتكلم يا مستر "دافيدسون" .

وبرقت أسارير المفتش ثم قال :

- لاداعي للكلام إذا كان يرهقك الآن يا "لوبين" . وإذا كنت تريد طبيبا فإنني ..

ولكني قاطعته صائحا :

- فليذهب جميع الأطباء في لندن إلى الشيطان ؟

وآلمني حلقي لما خلته صياحاً وهو لا يعدو أن يكون أشبه بالحشرجة فقلت :

- اسقني شرابا يا مستر "دافيدسون" ، ولتعلم انني رجلك منذ هذه اللحظة .

وأسرع أحد رجاله فجاء بكوب صب فيه بعض الشراب .. وامسكت بالكوب محاولا ان تبقى يدي ثابتة حوله ، ولكن الشراب تناثر فوق حجري ورأيت المفتش يتطلع إلي راثيا ثم تقدم ليعاونني فهززت رأسي كانما يؤلمني أن ابدو أمامه ضعيفا وقلت:

- كلا .. كلا

فتراجع خطوة وقد أدرك انني لا أتقبل اي مساعدة في تلك اللحظة.. ورفعت الكأس إلى فمي ثم افرغتها بجهد في حلقي فاحسست تحسناً وقلت :

- الآن أستطيع أن أتكلم.

فاوما "دافيدسون"برأسه وجلس مرة أخرى إلى جانبي ورأيت أحد رجاله يخرج مفكرة وقلماً فقلت :

- منذ أيام بحثت عني مسز "جوزيه سافيلا" وسالتني عن زوجها.. أعني أنها كانت تريد أن تعرف شيئا عن المرأة التي قتلها في سيارتي.. ولم تسالني عن شيء لم أخبرك به يا مستر "دافيدسون".. ولكنها كانت تريد معرفة ذلك لنفسها ولتستوثق من شيء كان يدور برأسها .

ورأيت المفتش "دافيدسون" يومئ برأسه وشاهدته يبتسم في وجهي ليشجعني على المضي في الكلام فاغتبطت وطلبت كاسا أخرى من الشراب وأنا أضحك في سري لاستخدام مفتش البوليس في تزويدي بالشراب باسم الطب ! وعدت لحديثي :

- قالت لي إنها تريد أن تعاونني وكان يبدو عليها الخوف من استهدافي للمتاعب لا من البوليس . وإنما لأنني قلت للبوليس ما كنت أعلمه . أتفهمني يا مستر "دافيدسون" ؟

وكنت حريصا على أن يكون حديثي معه واضحا .. فاجابني :

- نعم يا "لوبين" . استمر .. أرجوك إذا كان الاستمرار لايتعبك.

قلت :

- أنا بخير ولكن حلقي .. جاف جداً يحتاج إلى قطرات أخرى من الشراب .. فتجهمت أساريره إما خشية عليّ من الإفراط ، او الخوف

من أن أصبح في حالة لا تسمح لي بالإفضاء إليه بما يريده ، ولكن الرجل الذي كان يحمل زجاجة الشراب كان كريما فبادر يسكب لي في الكأس قطرات سخية من الصهباء الشقراء ! وما إن ابتلعت الكأس - أي ما كان فيها - حتى افقت إلى انني فقدت إحدى أسناني !!

وضايقني ذلك كثيرا ولم أفق من تأملات الغيظ و الحنق إلا على صوت المفتش يسألني :

- ما بالك .. هل تريد النوم يا "لوبين" ؟

فقلت : لا .. لا .

- إذن استمر .. كنت تقول إن مسز "جوزيه سافيلا" أخبرتك أنك قد تستهدف للخطر فهلا ذكرت لك اسم من قد تنالك منه المتاعب ؟

- كلا . لم تفصح لي عنه وتركتني أخمن .

وكنت أعلم أن مستر "دافيدسون" يهمه أن يعرف ما وقع عليه تخميني ولكني استطردت قائلا :

- وفاجاتني بانها ليست حانقة علي لقتلي زوجها .

- المهم ماذا حدث ومتى جئت إلى هنا .

- الليلة .

- اتعني أنك لم تات إلى هنا قبل الليلة ؟

- هذا صحيح . وقد جئت بناء على دعوتها .

- ولماذا لم تات من قبل ؟

والواقع أنني كنت أرحب بكل سؤال يلقيه علي فقلت على طريقتي :

- لا أكتمك أنني كنت زري الهيئة إلى أن أمدني "كازينو" بحلتي الأنيقة فاستطعت أن أجيء مرفوع الرأس .

- وماذا حدث عندما وصلت ؟

- وجدت لقاء حارا في انتظاري وظننتني سائراً إلى مصيدة .

- لعلك كنت سائراإليها بالفعل !

- كلا .. كلا .. إنهم كانوا يعلمون بلاشك أنك قادم إلى هنا .. وبالمناسبة .. كيف حدث أن جئت انت إليّ يا مستر "دافيدسون"؟

ففكر لحظة قبل أن يجيني :

- وصلت إلى بعض الأخبار يا "لوبين" . هل أخبرت "نيد كازيون"

بانك قادم إلى هنا ؟

- ربما .. لست واثقا .

- أتعرف أين كان "تيدذاهباً عندما غادرت مستشفى لامبث ؟

- أظنه قال إنه ذاهب إلى (وست اند) لأنني لم أكن أوليه كل انتباهي إذ ذاك

- ألم يذكر أمامك اسم منتدى ليلي ؟

- ربما . فقد سمعت أسماء عدة أندية مثل نادي القرد الأسود ونادي الأبسايد ونادي سيلفر ..

وترددت بعد ذكر النادي الأخير فقال :

- نادي سيلفر ! ألم يقل "تيد" إنه ذاهب إلى هناك الليلة ؟

- ربما .. فإن راسي يلف واشعر بدوار شديد يمنعني من تركيز افكاري .

فتطلع إلي بنظرة ماكرة كانما كان واثقا بان راسي يقوى على كل تفكير وتركيز ثم غمغم قائلا :

- لايهم .. لايهم .

- ولكنك لم تقل لي كيف علمت أنني هنا .

- تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفز بانك في هذا العنوان يتهددك خطر "مانويل سافيلا" الذي يعمل على الانتقام منك لأخيه . ويخيل إلي أن "كازينو" هو الذي حدثني وانه يعمل ضد "مانويل سافيلا" بغير هوادة .

- إن "سافيلا" هو مدير نادي سيلفر .

- هذا ما أعلمه ويعلمه القليلون فقط .

- الا يجوز أن التي حدثتك مسز "سافيلا" ؟

- كان الصوت صوت رجل يا "لوبين" .

- لعل الذي تكلم أحد أصدقائها .

- أظنها قالت لك شيئا عن زوجها وأخيه .

- هي ؟

- مسز "جلوريا سافيلا" .

- أوه .. نعم ، بلاشك .. نعم قالت .. قالت إن الأخوين استعملا

هذه الشقة مرات كثيرة ولذلك لم تمكث مع زوجها .. لم تقو على ذلك .. وكانت تبكي عندما أخبرتني بأنها لم تحتمل أن تبقى في مكان به مخابئ سرية وقيعان زائفة للدواليب الكبيرة .

و كان المفتش قد حبس أعوان "سافيلا" مع "ليل" في حجرة النوم الكبيرة ، فلما فتح بابها انقضوا في وجهي كأنما يريدون استكمال ما منعهم عنه المفتش بوصوله ! وزاد حقدهم عندما خرج "دافيدسون" من مخدع النوم ، ومعه اثنا عشر صندوقا مليئة بالهروين وجدها في القاع الزائف !

وجعلت "ليل" تصرخ وتنكر معرفتها شيئا عن هذه الصناديق ومخابئها ، وحاول "ميكي" أن يحطم قيوده ، بينما استسلم الآخرون لليأس والقنوط . وقال "دافيدسون" لرجاله :

- خذوا هذه الشرذمة .

فاقتادوا تلك العصبة الشريرة وأخلوا منها الحجرة ، واستدار المفتش يقول :

- سنذهب بك إلى المستشفى يا "لوبين" .

وعبثا حاولت أن أحتج وأن أؤكد أنني بخير ، إذ قال في إصرار:

- هناك يجب أن تبقى يا "لوبين" :. تعال فسأذهب بك بنفسي.

وقمت على قدمي أغالب الآلام التي كانت لاتزال تغشاني ، ولما رآني أترنح قال :

- إن الشراب الذي احتسيته يكفي رجلاً معافى يا "لوبين" وأخشى أن يكون امتناعك عن الذهاب إلى المستشفى هذيان شديد .. دعني أسندك .

وهكذا قضيت بقية الليلة في عنبر بالمستشفى .

الفصل الثامن

وهناك وضعوني في آخر سرير بالعنبر ولكني رفضت أن يلفوا الضمادات على وجهي وإن قبلت أن يضمدوا ضلوعي .. ولحسن الحظ لم ينكسر لي ضلع واحد ولكن رضوضي كانت سيئة للغاية ، فلما خلعوا ملابسي انتابتني صدمة شديدة ، وعندما أويت إلى الفراش مضت الممرضة لتجيئني بمنوم ، ورأيت ملابسي توضع في صوان بحجرة داخلية أمام البسطة الخارجية للدرج .

وجاءتني الممرضة الرحيمة بشرابي : زجاجة من اللبن الدافئ شربته على مهل وببطء شديد كأن حلقي كان يؤلمني ، فلما نفد صبر الممرضة غادرتني ، فأسرعت أسكب اللبن في وعاء وجدته بجانب الصوان الصغير الموضوع لصق فراش وعندما عادت الممرضة تظاهرت بأنني أرتشف آخر قطرة في الزجاجة ، فابتسمت وقالت راثية :

- أنت ولد طيب مطواع !

واغتبطت لأن كلمة (ولد) تساق دائما في معرض وصف الشباب، ثم رمقت في النهاية المقابلة من العنبر رجلا من رجال "دافيدسون" جالساً فوق مقعد ، فقلت للممرضة :

- إنني أختلج من تيارات الهواء ولا أحب أن أصاب ببرد بسبب بقائي في هذا الجانب .

فعادت تبتسم معتدة مع ذلك بتفوق معلوماتها ثم قالت :

- حسناً يا مستر "ثرثار" !

ومالبثت أن جاءت بستار حجب عني رجل البوليس الرابض في مقعده ، الذي لا ارتاح لرؤيته ، وخرجت الممرضة فرقدت في سريري مغمض العينين مرهف السمع لكل حركة في العنبر ، وكانت رقدتي مصدر عذاب لي ولكني حاولت أن أقتل الساعات الأولى بالتفكير فيما أعتزم عمله .

أردت أولا أن استوثق مما وجده مفتش البوليس عندما اقتحم قاع الدولاب الزائف بمخدع النوم ، لأعرف هل عثر على شيء آخر غير

صناديق الهروين ... وما هو هذا الشيء ؟ أهو مثلا الورقة التي اهتدت إليها "جلوريا" زوجة "جوزيه" في سيارتي ؟ والواقع أن هذه الورقة اللعينة كانت مصدر متاعبي ، وكل ما أعلمه أن لها دخلا بسرقة بعض الكليشيهات الخاصة بطبع الأوراق المالية المزيفة الإنجليزية والأمريكية . وتذكرت ما غمغم به "برت مايلاند" وسط ضماداته فقد اكتشف أمرها قلم المخابرات السرية البريطاني ومن بين ضباطه الكابتن "فاريل" ثم اختفت هذه الكليشيهات بعد ذلك ، وإلى هنا انتهت معلوماتي .

وأعقب ذلك في الترتيب مقتل الكابتن "فاريل" في حادث بعد أن كتب إلى "مايلاند" يطلب معاونته في أمر على جانب كبير من الخطر . وهذا المشروع وذلك السرأودعهما زوجته التي قدمت إلى لندن وقتلها "جوزيه سافيلا"

وفي أثناء التحقيق قرر المفتش "دافيدسون" أن "جوزيه سافيلا" حجز حجرة للقتيلة "ماري فاريل" بفندق بيلا مونتانا في ميدان بيد فورد ، وهذا التقرير يبدو لي الآن أهم مما كان في أثناء المحاكمة .

وكان مدير الفندق واثقا كل الثقة بأن "جوزيه سافيلا" هو الذي احتجز هذه الحجرة ، كما قرر أن "جوزيه" ذهب بنفسه إلى الفندق ليطمئن إلى أنها مريحة ! وهذا من الغرابة بمكان ويعتبر تضييعاً للجهد مادام كان يعتزم قتل المرأة قبل وصولها إلى الفندق فلماذا يا ترى جشم نفسه هذا العناء الذي لاطائل تحته ؟

ولم يستسغ عقلي سوى جواب واحد لهذا السؤال وهو أن شيئا حدث وجعل "سافيلا" يقتل المرأة بين وقت احتجاز الحجرة ووصولها إلى سانت بنكراس حيث اختارت سيارتي وعندئذ ومضت براسي عبارة قالها لي "كازينو" .. عبارة عن كذب معلوماتي وأنها ربما قدمت إلى لندن لتقابل إنسانا آخر غير "جوزيه سافيلا" ، وهذه العبارة جديرة بدورها بالاهتمام والتفكير ولكنها كغيرها لم توصلني إلى شيء ، لأنني لم أكن أعلم من التفاصيل ما يمكنني من ربط الحوادث معا دون أن تفصلها ثغرات كبيرة متعددة .

ولم أدر كم من الزمن قضيت في تدبر هذه المشكلة وتقليبها في

خاطري ، وحاولت جاهداً أن أكتشف سرها ولكن الحقيقة كانت ابعد من أن استطيع رؤيتها . وشعرت بجسمي ينهك وبقواي العاقلة تتعب وبانني في حاجة ماسة إلى النوم ، ولكني لم اكن ارغب في أن أنام بذلك المستشفى وإن لم أدر كيف تنجح خطتي المجنونة في الهرب ؟!

وعولت على أن اغادر العنبر أولا ثم أبارح المستشفى دون أن يعلم رجل سكوتلانديارد ودون أن يطاردني "دافيدسون" في الصباح .

لم أقو على مقاومة الإغراء بالهرب ، ورفعت عني الأغطية وأخرجت قدمي من الفراش واضطررت إلى أن أعض لساني لأحول دون صياحي بالألم و انا أعذب جسمي بالانحناء والانثناء عند مبارحتي السرير ، فلما نصبت قامتي زايلني كثير من الألم والدوار وغلبتني الحماسة فتسللت تاركا خلفي زملائي المرضى يغطون ويشخرون . ولم يكن مضيئا بالعنبر غير مصباح واحد اظنه كان على المنضدة حيث كانت الممرضة الليلية تقرأ أحد الكتب ..

لم أكن واثقا لانني كنت أتحرك خلف الستار الذي كانت الممرضة قد وضعته حول سريري وصرف الباب المؤدي إلى البسطة الخارجية وخفت أن يستيقظ المرضى القريبون منه ، ولكن واحدا منهم لم ينتبه من نومه العميق . وتسللت إلى الدواليب، ثم أخذت أرتدي ملابسي وأنا أرتعد من البرد الشديد وتثقلني الضمادات المشدودة حول جسمي.

وبينما كنت ألف رباط عنقي شعرت بأول موجة من الغثيان فتشبثت بباب الصوان وقد شملني الخوف وانا اتمثل في خاطري صعوبة هبوط الدرج والخروج من المستشفى بهذا الضعف الذي يغشاني ووسط زمهرير البرد في هذه الليلة القارصة . وقلت لنفسي أعللها بالرجاء إن هذا الهواء البارد كفيل بأن يبعث النشاط في اوصالي ..

وتحملت وتجملت بالصبر والجلد ،إلى أن استعدت عزيمتي ورحت افكر في المشكلة الحقيقية التي تواجهني وهي تحاشي من يمكن أن يكون جالسا إذ ذاك بمكتب الاستقبال بالقرب من مدخل المستشفى . ولم تخطر ببالي صعوبة اخرى ، وإن كنت خفت الا تسعفني القوة

اللازمة للخروج . ولن يجد المفتش "دافيدسون" لمغادرتي المستشفى باعثا معقولا أو مبررا مقبولا ، ولكن لم يكن يهمني ما يجده أوما يراه، لأن كل همي كان في أن أغادر المستشفى فحسب .. ولم اشأ أن أفكر طويلا فيما قد يتهددني من إغماء وسط طريقي إلى الخارج أوعند مدخل المستشفى ..

ومشيت شبه زاحف وشبه متوثب إلى البسطة التالية ، وقد أحاط بي سكون مطبق وكاني الشخص الوحيد الذي أوتي قوة الحراك إذ ذاك وقبل أن أصل إلى الطابق الأرضي حدث ما أرعبني فقد كنت وسط الدرج الواسع إلى الدهلز الكبير في الطابق الأرضي عندما فتح باب على غرة وخرج منه رجل وامرأة في هدوء . وكان الضوء الوحيد في الدهليز يكشف عن شعر الرجل الفضي وثوب المرأة الأزرق ، ثم سمعته يحدثها قائلا :

- أظنك أدركت أنني لا أوافق بحال على أن يتعاطى أي منبه على الإطلاق لأن ذلك يسيء إليه كثيراً .

واستمرا يقطعان الدهليز إلى أن خفت صوت الطبيب ، ثم انقطع باختفائه عن عيني بينما كنت أضغط نفسي ضغطا في الجدار .. ولحسن حظي كانت وقفتي في أحد الظلال فلم ينتبه إلى وجودي الطبيب أو الممرضة ..

وبقي علي أن أبلغ المدخل ثم أنطلق إلى الخارج قبل أن تفطن ممرضة الليل في عنبري إلى أن الستار الذي وضعته حولي إنما يخفي فراشا خاويا ؟ وبلغت الدهليز وتلفت حولي يساراً ويمينا ثم تنفست الصعداء عندما وجدته خالياً من كل مخلوق .. ومضيت إلى الضوء في النهاية البعيدة التي تمثل الردهة الأصلية للمدخل . وأحسست عندما بلغته أن أطرافي تتجمد وأن درجة حرارتي قد هبطت هبوطا يهددني بالانهيار والإغماء .

ولكن الرعب الذي تملكني بعد ذلك ألهب النار في جسمي فقد شاهدت البواب الليلي يحمل تحت ذراعه صحيفة مسائية وفي يسراه قدحا من الشاي ، وهو يمضي إلى غرفة الاستقبال قائلا :

- ها هو الشاي .. وفيه سكر كاف .. .

وسمعت صوتا نسائيا يجيبه :

- لاترفع صوتك هكذا يا بنستول فيسمعك أحد .. ؟

ولكنه قال ليطمئنها :

- لا أحد هنا يا عزيزتي وقد صنعت لك الشاي بيدي .

- ولماذا لم تات بقدح أخر لك ... ؟

- سأصنع لي قدحا عندما أتيك بقدحك الثاني

وسمعت غمغمة شاكرة ثم انزويت في ركن ظليل لأنني كنت أتوقع أن يعود الرجل مرة أخرى لصنع القدح الثاني . وكان في وسعي أن أندفع كالسهم المريش إلى المدخل ولكني اغريت نفسي بالتريث والتمكث على الرغم من أن ثائرة أعصابي كانت آنذاك أكثر مما أحتمل . وبعد دقيقتين تقريبا ، شاهدت البواب يغادر مكتب الاستقبال وعندما رفع عينه إلى المكان الذي كنت اقبع فيه ، تصبب العرق من جبيني وعنقي كأنما هب علي فجاة تيار شديد البرودة . وسمعت الرجل يقول :

- لابد أن تشربي قدحاً آخر فإن الليلة قارصة ولتتمكني من الانتهاء من البلوفر الجميل فليس أجمل من صدر المراة في البلوفر !

وضحك الخبير بالنساء والجمال ضحكة اشبه بضحكة الضبع !

وانتهى عذابي عندما رن جرس التليفون العام فدخل الرجل مرة ثانية وسمعته يتكلم ويقول :

- أنا آسف .. لايمكن أن اتصل بالمرضة الآن لأنها في العمل الآن .. كل ما أستطيع أن اخبرك به ياسيدتي أن مستر "لوبين" مستغرق الآن في نومه .. كلا .. لاأستطيع .. حسناً جداً سابلغه بأسرع مااستطيع .. ما هو الرقم .. لحظة ،احدة حتى أكتبه ..

وأعاد ذكر الرقم بضع مرات فتمكنت من حفظه عن ظهر قلب .. وعاد البواب يقول :

- اقول له من "جلوريا" ؟ "جلوريا" فقط .. شكراً طابت ليلتك وقبل أن يخطف المفتاح من اللوحة الكبيرة كنت عند الباب الخارجي ثم

فتحته في بطء . واستخفني الفرح حتى كدت أغني.. وبلغت الرصيف وبدأت أعدو إلى (كشك) للتليفون قبل أن يغمى علي من التعب والفرح والإعياء .

* * *

وخيل إلي أن عمراً انقضى بين طلبي الرقم الذي سمعت "جراين" بحجرة المستشفى يكرره ، وبين سماع صوت "جلوريا" قائلة :

- المستشفى ثانية ؟

فقلت بأعلى صوتي :

- أصغي إليّ يا "جلوريا" .. انا "أرسين لوبين"

ويبدو أن السرور قد تملكها إذ سرعان ما تبدل صوتها وصاحت : "لوبين" ماذا حدث يا "لوبين" ؟

أين انت ؟

وكان يبدو في نبراتها مبلغ لهفتها على أن تعلم .. ووثبت للتو إلى راسي تلك الأوراق اللعينة فقلت لنفسي «لعلها تتلهف على معرفة ما أعلمه بشانها أكثر من لهفتها على معرفة ما حدث لي!» : ولكني قلت في صوت واهن بالضعف :

- لقد ارتديت ملابسي وغادرت المستشفى

فصاحت مشدوهة :

- ولكنهم أبلغوني منذ لحظات أنك مستغرق في نومك !؟

قلت :

- الواقع أنهم أعطوني منوما ولكني خادعتهم ثم ترقبت الفرصة فتسللت خارجاً وسمعتك تتحدثين مع البواب الذي كرر رقم تليفونك وهو يكتبه لديه ولذلك بادرت فور خروجي من المستشفى فاتصلت بك لانني أود التحدث إليك في أمر مهم وأخلدت المرأة لحظة طويلة إلى الصمت كانما تتدبر ما يمكن أن يكون عليه هذا الأمر من الأهمية فصحت بصوت ألم حنجرتي المصابة برضوض من الخارج :

- ماذا ؟! أما زلت هناك ؟

فاجابتني :

- نعم .. انا مازلت هنا ولكنني فقط افكر يا "لوبين" ويقلقني ما يبدو على صوتك من أثر التعب والمرض .

- أنا أحسن حالا .

- أين أنت ؟

فاخبرتها قدر ما أستطيع ، ثم قلت :

- بالقرب من منتزه صغير ، غير محاط بسياج منذ أن أتت عليه قنابل الأعداء ...

سأذهب إلى هذا المنتزه وأتمدد على أريكة فيه إلى أن تأتي وتأخذيني .

- ولكنني لا أمتلك سيارة وأخاف ألا يصادفني (تاكسي) في هذه الساعة ، ولا أحب كذلك أن أطلب سيارة من إحدى الشركات خشية أن يكون .

ولم أدر هل كانت هذه الخشية من أجلها أو من أجلي ، ورغم ذلك قاطعتها قائلا :

- إليك يا "جلوريا" هذا الرقم .. رقم حظيرة السيارات التي كنت أعمل بها ..

اطلبي "شارلي ريس" فهو الحارس الليلي واغريه بالنقود التي ترضيه ولا تترددي في أن تعرضي عليه خمسة جنيهات فهو يعمل كل شيء ليحصل عليها ، وإذا تعلل برجل يدعى"باومان" فقولي له : "أرسين لوبين" يقول لك إن "باومان" لن يعطيك خمسة جنيهات، ولاباس من أن تقولي له : إن " أرسين لوبين" يقول إن باومان خنزير بلاذيل، إلى اللقاء قبل أن أقع مغشيا علي .

وخرجت اترنح من فرط الإعياء وقد ساءت حالتي .. ومضيت شبه زاحف إلى المنتزه الصغير ، ثم جررت نفسي جراً فوق إحدى الأرائك حيث استغرقت من فوري في النوم . واستيقظت على يد تهز كتفي في رفق ، وعطر يملأ انفي ، وشيء يداعب وجهي ويدغدغ انفي .. وسمعت امراة تقول :

- عاوني بالله عليك .

وعرفت صوتها فغمغمت قائلا :

- "جلوريا" .. "جلوريا" ..

فاجابت تهدئ من جاشي بصوتها الناعم الحنون :

- كل شيء على ما يرام ، وسنذهب بك إلى المنزل يا عزيزي .

وعبثا حاولت أن انهض وأن اجلس على الأريكة ، فامتدت حولي ذراعا رجل وارتفع صوته الأجش يقول :

- يجب أن نذهب به إلى المستشفى يا سيدتي فإن نظرة إليه تكفي لمعرفة انه مريض جدا ومحموم .

وبجهد تصنعت ضحكة عالية المتني ، ولكن الرجل قال غاضباً وهو يحملني إلى سيارته :

- أهذه ضحكة ثمل ؟

فقالت "جلوريا" في نبرات تفيض بالاعتذار وقد ادركت لعبتي:

- هو ذلك ، وإن لم يفعل ذلك في حياته من قبل .

وقنع السائق بانني افرطت في الشراب ، وأن فتاتي جاءت لتحملني إلى منزلنا.

وأجلساني بينهما في السيارة خلف عجلة القيادة بالتاكيد . ومن عجب أن هذا السائق هو نفسه الذي سلمته السيارة بالحظيرة في الليلة السابقة فقط ، ولكنه لم يتعرف علي مما دلني على أن حالتي كانت بالغة السوء .. وهبطنا امام بناء مكون من بضع شقق على كثب من شارع كنج ، ثم صرفت "جلوريا" السائق وأدخلتني إلى الطابق الأرضي ، وبعد أن أسدلت ستائرالنوافذ أضاءت النور.

وتطلعت إلى وجهها الصبيح الفاتن وقد تالق شعرها تحت النور أشبه بسبيكة من الذهب .. وانحنت علي بقوامها الرشيق فامتلأت انفاسي بعطرها الذي يوائمها ويزيد في أنوثتها الصارخة ، ثم قالت بصوت يختلج بشتى الانفعالات :

- كيف حالك الآن يا "لوبين" ؟

فادرت رأسي على وسادة الفراش الذي أسلمتني إليه ثم خملقت إليها مليا دون أن اقوى على النطق ، فاطبقت بفمها على شفتي تمسحهما . ووددت أن اغمض عيني وأستسلم لنشوة هذه اللحظة إلى الأبد ، ولكن عيني ظلتا مفتوحتين إلى ان تراجعت "جلوريا" في كثير

من الارتباك ! وأردت أن أفهمها على الفور أن قبلتها مصطنعة لغرض في نفسها ولغاية تريد تحقيقها . فرفعت نفسي في الحال على مرفقي وقلت :

- لا أكتمك يا "جلوريا" أن الورقة التي أخذتها من السيارة في الليلة الماضية مصدر متاعب كثيرة فإن "نيد" ..

فرمقتني بنظرة حادة وصاحت :

- وما دخل هذا بـ"نيد" وغيره ؟!

ولم أشا أن أتراجع فرمقتها بمثل نظرتها وقلت :

- أنت أولا تحبينه كما فهمت منك ومن "ليلان" ومن كل إنسان .

فانفجرت ضاحكة ثم قالت ساخرة .

- وأظنك أخبرت "نيد" بذلك بالتأكيد ؟

ولم أدر سببا لسخريتها وإن مضيت أجيبها :

ـ عندما وجدت البوليس جادا في بحث ملابسات موت "فاريل" أو مقتله اضطررت أن أوضح لـ"نيد" كل ما حدث دون أن أكتم عنه شيئا .. و مما تناوله حديثي معه ما قلته عن الورقة التي كانت مع زوجة "فاريل" (أختك ماري) والتي قلت عنها لو أنها وقعت في أيدي البوليس لكان هو الآن في غياهب السجن .

- وماذا كان وقع كلماتك عليه ؟

- تجهم وتدلت شفته السفلى واضطررت أن أذكره بأنك تحبينه وأنه يبادلك الحب .

- إذن فأنت ذكرته بذلك ؟

وكانت تتطلع إلي بطريقة لم أحفل بها على أية حال فأجبتها :

- هو ذلك . ألم تقل "ليل" إنك فقط تزوجت "جوزيه" نكاية في "نيد" وهذا معناه ..

فقاطعتني قائلة :

- كذا ! كذا !

ثم ابتسمت ابتسامة ماكرة واستطردت تقول :

- لا تحاول يا "لوبين" أن تلعب مرة أخرى دور "كيوبيد" .. إلا إذا كنت تريد الانتحار !

وجرت من الحجرة قبل أن تتيح لي فرصة سؤالها عما تعنيه ، فرقدت وأسلمت راسي للمخدة الناعمة وانا اكرر لنفسي انني احمق مخلوق على ظهر البسيطة ! ذلك لانني رايتني اقحم نفسي في قضية متعددة الجوانب ، متشعبة المسالك ، متباينة معقدة ..

لن تفضي بي إلى غير السجن ما لم التزم الحيطة و اتوخى الحذر.. كل الحذر .. فبعد بضع ساعات سيكون المفتش "دافيدسون" قد قلب لندن رأساً على عقب في البحث عني وعولت على أن اسال "جلوريا" لماذا قابلت حديثي عن حبها لـ "نيد" بمثل تلك السخرية وهو الذي خلصها من مخالب "مانويل" بعد ان أطبقت عليها في نادي سيلفر، ولا يمكن أن تكون من نكران الجميل بهذه الصورة التي رايتها! وكانما كنت اكره أن تنكر الجميل حتى لاتنكر جميلي انا الآخر ، ولم يتح لي أن اسالها أو أن اتحدث إليها في تلك الليلة لانني مالبثت أن استغرقت في النوم. و لم استيقظ إلا حوالي الساعة العاشرة صباحا لأجد الغرفة تسبح في ضياء الشمس وأجد "جلوريا" قد خلعت لي ياقة قميصي و حذائي و لفتني في بعض الملاءات ، ووجدتني كذلك أنعم بالراحة و الدفء ، و ان رضوضي قد زايلها كثير من الآلام . وظللت راقدا أصغي إلى جلبة الطريق حتى قدمت "جلوريا" و قد ارتدت ثوبا جميلا تتناثر فوقه رسوم أزهار فاتنة و يضاعف من جمالها . وكانت عيناها غاية في الإشراق ، وابتسامتها قانية دافئة مليئة بالترحيب و التهليل و لكنها لغبطتي سالتني دهشة :

- أوه .. هل استيقظت ؟ كيف حالك الآن :

فقلت صادقا و أنا ارفع عني الملاءات و الأغطية :

- أخشى أن أكون جائعاً ياعصفورتي .

فاجابتني :

- اغتسل أولا واحلق تجد الفطور معدا .. لقد جئتك الآن فقط بماكينة للحلاقة و انبوبة معجون لأسنانك .

و ازددت إيمانا بانها امرأة قديرة وقلت :

- شكراً لك يا "جلوريا".. لقد اتعبتك .

و جاءتني بأدوات الحلاقة ثم قالت :

- اتحب أن أعاونك على خلع ملابسك ؟ لا تنس أنني امراة متزوجة و انني كنت في أثناء الحرب ممرضة

- أوه .. شكراً يا "جلوريا".. سأخلع ملابسي بنفسي و عانيت صامتا كل عذاب في الحلاقة و الاغتسال ، ولكنني ما لبثت أن شعرت بالراحة والنشاط يدبان في أوصالي ، ورمقتني في اهتمام و أنا أمضي إلى المائدة التي أعدت عليها الفطور ، وكانت تدخن سيجارة فجلست لألتهم الطعام وقلت :

- ألا تفطرين معي ؟

ولكنها اعتذرت بأنها تناولت فطورها منذ ساعتين على الأقل ثم استرسلت تقول :

- سنمضي في الثانية عشرة إلى سيكومب يا"لوبين" في سيارة أجرتها .

وحسبتها تمزح فقلت بفم مليء بالطعام :

- اتظنيني في حاجة إلى بعض هواء البحر ؟

فاومات براسها وأجابت :

- هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى أهم لأنه في سيكومب وقع حادث "فيليب فاريل" زوج أختي الراحلة "ماري"

فادركت أنها جادة ولم تكن تمزح .

الفصل التاسع

وجعلت اتناول فطوري في بطء وانا غارق في لجة من الأفكار .
ووجدتني قد فقدت شهوتي للطعام لفرط ما شغلت راسي فقلت :
- وماذا يحملك على القيام بدور البوليس السري ؟ هل تنتظرين جدوى من ذهابنا إلى مكان الحادث ؟
فأومات برأسها وقالت :
- بلاشك يا "لوبين" ويبدو أن شكوكا تساورك لأنك لا تعلم الكثير مما أعلمه
- الواقع انني اجهل الكثير ، مثال ذلك جهلي بمكان الأكليشيهات المسروقة بينما انت تعلمين أين هي ...
وقد فاجاتها بحديثي عن الأكليشيهات لأرى وقع المفاجاة عليها.. وفعلا وجمت وحملقت إلى وجهي لحظة طويلة خلتها ستعترف بعدها ولكنها قالت :
- أنا لا أعلم أين هي يا "لوبين" ويجب أن تصدقني ..
فوضعت الشوكة جانبا ثم تاملتها ملياً لأقول أخيرا :
- انا اصدقك يا "جلوريا" وسأذهب معك إلى سيكومب وليعمل "دافيدسون" اقصى واسوأ مالديه ، ولكني لا احتفظ معي بنقود فهل لك أن تذهبي إلى المصرف ....
فقاطعتني : اترك هذا لي .
واسترسلت قائلا وهي تعد القهوة :
- والشيء الآخر.. يجب الا تتركيني أتخبط في الظلام لجهلي أكثر الأمور
- ستحتسي قهوتك اولا .
وبعد أن صبت لي ملء فنجاني قالت :
- سابدأ بأن اخبرك عن السبب في أنني تزوجت "جوزيه سافيلا" ..
- حسناً تفعلين فقد حيرني هذا كثيراً لأن زواجكما رباط يخالف كل طبيعة إنسانية فشكرتني بابتسامة فاتنة وقالت : إن كثيرين غيرك لم

يجدوا في ذلك ما يدعو للحيرة ولم تساورهم الشكوك التي ساورتك في ...

- دعيني أعترف لك أولا بان شكوكا لم تساورني من جهتك ، ولكني فقط صدقت انك تزوجته إغاظة ونكاية في "نيد كازينو" ..

- إنك رجل ذكي يا "لوبين" .

وخفت أن تكون ساخرة على عادتها فقلت : اتركي ذكائي الآن وامضي في قصتك ورحت أرتشف قهوتي .. ولم تتطلع إلي كانما كانت تفكر في كلماتها التالية ثم قالت :

- السبب الذي دفعني إلى زواج "جوزيه سافيلا" انني أردت أن ابتز أمواله بالتهديد .

قالت ذلك بكل هدوء ، ولكن فنجاني سقط على طبقه وكاد ينكسر ! ولم انطق بحرف لاتركها تمضي في روايتها العجيبة المثيرة فتقول :

- كان أخي اللفتينانت "ترنت" ، وقد قتل كما قيل قضاء وقدراً بعد أن رسا بإحدى السفن إلى هذه البلاد من غرب ألمانيا ، فقد قامت السفينة برحلة سرية في الليل . وكان مفروضا انها تحمل على ظهرها خططا واجزاء من أسلحة (ف) الألمانية الجديدة ...

وهي أسلحة اكتشف قلم المخابرات البريطاني وجودها في مصانع تحت الأرض .. كان ذلك في نهاية مارس ، وكان القتال ما زال مستمرا بألمانيا ، وكان أخي في قلم المخابرات هذا مع الكابتن ..

قلت لأبين لها انني متتبع قصتها باهتمام : مع الكابتن "فيليب فاريل" ؟

فاومات براسها واستطردت تقول : تماما يا"لوبين" ، فقد كان اخي "روبين ترنت" والكابتن "فيليب فاريل" صديقين حميمين . وقدم "فيليب" ليقضي الإجازة مع "روبين"، هكذا تعرف بـ"ماري" أختي التي كانت تقضي عطلتها الاسبوعية في المنزل ..

وكان بين ما تحمله السفينة التي يقودها اخي "روبين" بعض الأكليشيهات المتقنة الصنع لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية . ونحن نعلم الآن أن حفارين من امهر الصناع اخذوا من البلاد المحتلة ليقوموا بمثل هذه الاعمال . وكانت فكرة الألمان أن

يغرقوا اوروبا وربما العالم باوراق مالية مزيفة مطبوعة بهذه الإكليشيهات . واظنك قرات عن ذلك في الصحف .

- نعم قرات عن ذلك وان ذلك الاكتشاف اقام قائمة رجال اسكوتلاندريارد وإن لم يهتدوا إلى كل الاكليشيهات .

- هو ذلك ومن بينها الاكليشيهات التي كانت في سفينة أخي .

وتطلعت إليها مترقباً مفاجاة جديدة فاسترسلت تقول :

- غادرت السفينة القارة ووصلت في الظلام إلى إنجلترا وما إن رست على الشاطئ حتى حدث انفجار على سطحها وقتل أخي بمثل ماقتل "فيليب فاريل" فيما بعد !

ورغم ذلك توقعت مفاجاة جديدة فرحت ارهف السمع وانشات "جلوريا" تقول :

- كان في السفينة بعض الفدائيين (الكوماندو) بقيادة الكابتن "كازينو" ، فلما وقع الانفجار قذف باخي وبعدد من الرجال إلى البحر كما انفجر جزء من جانب السفينة وقتل بعض الرجال وجرح البعض الآخر . ورفعت السفينة بعد أن غاصت حوالي ٣٦٠ سنتيمتراً ، وعثر على كل المواد المرسلة من قلم مخابرات الجيش البريطاني فيما عدا الاكليشيهات فقد اختفت يا "لوبين" أو على الأقل لم توجد على الإطلاق!!

- الهذا تعتقدين انها سرقت ؟

- لهذا ولسبب آخر .. قلت لك إن الكوماندو اي الفرقة الفدائية كانت بقيادة الكابتن "كازينو" ، ولكن "كازينو" لم يقم بتلك الرحلة فإن جثته لم يعثر عليها في البحر وكذلك لم يكن بين من انقذوا من براثن الموت . وكان يمكن الرجوع إلى السجل لولا انه ضاع في اثناء الانفجار!! .

- لابد ان الكابتن "فاريل" قد اهتم بالأمر وقام بعدة تحريات دقيقة .

- حدث قبيل التحقيق أن كتب "كازينو" لـ"فيليب فاريل" يؤكد له الصدمة التي شعر بها عندما سمع الحادث وانه يحمل للفتنانت "ترنت" كل شكر واعتراف بالجميل ، إذ أرسل إليه يعفيه من الاشتراك في تلك الرحلة فاعفاه من الموت في الحادث !!

- وهل اطلع احد على الرسالة التي تلقاها "كازينو" من أخيك اللفتنانت "ترنت" ؟

- لم يشك "فيليب فاريل" في الامر بل قبله على عواهنه وبذلك لم يجئ ذكرللكابتن "كازينو" في التحقيق .. غير أن "فيليب" فقد صديقه الحميم فعول على أن يقوم بتحريات خاصة ومالبث أن اكتشف حقيقة مهمة وهي أن "كازينو" صعد إلى ظهر السفينة قبيل إقلاعها ببضع ساعات وهو يحمل حقيبة كبيرة ثم غادرها بعد نصف ساعة ، وهو مازال يحمل نفس الحقيبة ! وقد أبدى احد البحارة من فرقة الفدائيين استعداده للشهادة بذلك : ولكي اعاون "فيليب" في معرفة الحقيقة ، بدأت أوثق علاقتي بـ"نيد كازينو" وأوطد صداقتي معه :

وصبت لنفسها فنجاناً آخر من القهوة ثم أشعلت سيجارة قبل أن تسألني :

- ألك أن تساعدني في غسل الصحون والفناجين لأنني أحب أن أترك الشقة نظيفة على الدوام قبل خروجي ؟

ولم أكن إلى تلك اللحظة قد أخبرتها بموافقتي على الخروج معها ولكنها كانت تأخذ أكثر الأمور قضية مسلمة ، فقمت معها ورحت أجفف كل صحن وفنجان تغسله .. ولم أكن أجيد ذلك فتركت (طبقا) يهوي على الأرض فلم تؤنبني بل راحت تلم الشظايا في سكون وهي تقول :

- وسرعان ما أصبحت و"كازينو" صديقين حميمين وعجبت إذ وجدتني أستظرفه رغم اعتقادي انه من أسوأ الناس وأكثرهم دهاء!

- أتعنين أنك كنت واثقة انه سرق الأكليشيهات في حقيبته بعد أن ترك قنبلة موقوتة في السفينة ؟

فاجابتني في صراحة :

- الواقع أنني لم أشغل بالي بذلك كثيرا بل وجدتني بلافائدة لـ"فيليب" الذي أخبرني انه توصل إلى أمور كثيرة منها ماقاله البحار الفدائي من انه شاهد "كازينو" على ظهر السفينة قبل إقلاعها ومنها أن رجلا آخر شاهد "كازينو" في نفس اليوم يستقل قطاراً حاشداً بجنود في الإجازة ومازالت الحقيبة معه ، وقضى "فيليب" بعض الوقت في

تحريات أسفرت عن الاهتداء إلى جاويش بالفرقة الفدائية أكد أنه شاهد "كازينو" يعطي الحقيبة إلى رجل أجنبي الملامح في مشرب عام بـ"هاروتش" .

- اظنني خمنت من يكون هذا الرجل !

- لم يكن - كما فهمت بالتاكيد - سوى "جوزيه سافيلا" ، ومضى "فيليب" إلى حيث غرقت السفينة ولكنه وجد وفي راسه جرح بالغ وقد امتلات رئتاه بالماء ، وانتهى التحقيق بانه مات قضاء وقدراً ولذلك قررت "ماري" أن تجيء بالأوراق التي قيد فيها "فيليب" مستنداته وأنت تعرف ماذا كان مصيرها بعد ذلك واشعلت سيجارة أخرى ثم استرسلت تقول :

- فاتني أن اذكرلك أن "فيليب" طلب إليَّ أن أستمر في نشاطي الخفي فاتعرف بـ"جوزيه سافيلا" ولم يكن ذلك صعبا فقد كان يتردد على الأندية الليلية مثل نادي سيلفر .

وهناك قابلته وتحدثت إليه عن "كازينو" . وكانت "ليلان" تكرهني لانها كانت تريد "جوزيه" لنفسها وإن لم تستطع المخاطرة بفقد أخيه "مانويل" واهتمامه بها ..

وابتسمت إذ راتني أتتبعها باهتمام وكلي آذان صاغية ثم قالت:

- أظنك بدأت تهتم بالقصة أيها الروائي ؟

فاجبتها على الفور : لست روائياً ولاأذكر أن مكتبة انتفعت مني بشلن

- إذن انت من النوع الذي يستعير الروايات ولايعيدها لأصحابها؟

- لم استعر رواية أو كتاباً قط .

ثم امسكت بكتفها وأدرتها صائحاً : لماذا تزوجت "جوزيه سافيلا" ؟ أكنت مجنونة ؟

قالت في صوت ناعم : أيهمك أن تعرف ؟

- كل الاهتمام .

وشعرت بحلقي من الجفاف بحيث لا أقوى على مزيد من الكلام فاكتفيت بأن قلت :

- استمري في قصتك .. انسي أنني قاطعتك

- كان "نيد كازينو" قد أخبرني بأن "جوزيه" متزوج فلما حدث في ليلة أن غلبه السكر وطلب إليّ أن أتزوجه، قبلت على الفور وهكذا تزوجنا ، وكان من السهل عليه أن ينسى زوجته التي كان قد تركها في جبل طارق وأزمع الا يتصل بها بعد ذلك .

- إذن هذا ما قصدته من قولك إنك تزوجت "جوزيه" لتتمكني من ابتزاز نقوده بالتهديد .

- هذا ما قصدت إليه فما إن انقضت ساعة واحدة على زفافنا حتى جابهته بالحقائق المرة وقد أنصت إليّ وهو شبه رجل يستمع إلى الحكم عليه بالإعدام ، وكاد يركع عند قدمي ، فقلت له إنني سأظل متكتمة هذه المهزلة الزوجية مادام يطيعني وينفذ كل ما أطلبه منه وإلا..

قلت في حرارة : ألم تفطني إلى انك كنت بذلك تخاطرين بحياتك ؟

فهزت رأسها وقالت : كلا يا "لوبين" ، ولم افطن إلى انني كنت أخاطر بحياة آخرين إذ لم ينقض على ذلك الزواج ثلاثة أيام حتى لقي زوج أختي مصرعه في سيكومب ..

وهناك رجل واحد - غير "جوزيه" - يعلم ما فعلته ، وهو "نيد كازينو" .. فرحت اتحاشاه خصوصا بعد أن وضعت نفسي في معسكر الأعداء . وحدث بعد ذلك أن تلقت أختي رسالة بأن صديقاً لزوجها الراحل الكابتن "فيليب فاريل" يريد مقابلتها في لندن ، وأنه كان يعمل في خدمته مع مراسلته القديم "برت مايلاند" ، وأنه يرجو أن تحضر معها كل ما تركه زوجها "فيليب فاريل" من أوراق وقال الشخص المجهول إنه احتجز لها غرفة بفندق (بيلا مونتانا) . وقدمت إلى لندن .. وفي سانت بنكراس اقللتها انت مصادفة في سيارتك .

- إذن "جوزيه"هو الذي دبر مقتلها .. ولكن ماذا عن حادث السفينة في سيكومب ؟

- لا أدري بعد ، فربما يكون من تدبير"جوزيه" أو "مانويل" أو "نيد كازينو" .

وبقي لدي سؤال أحببت أن تجاوبني عنه فقلت : إذا كان "جوزيه" قد عني بأن يحجز لأختك حجرة بالفندق وعمل على أن تجيء إلى لندن،

فلماذا أطلق عليها الرصاص ؟

فسالتني مشدوهة : الا تعرف حقيقة ؟!

- كلا .

- عندما تلقت "ماري" .. هذه الدعوة من غريب عنها حاولت أن تتصل بي بشقة "جوزيه" ولكنني كنت في شقتي هذه التي اخترتها لنفسي .. ويبدو أن واحدة تلقت منها المكالمة التليفونية وادعت في رفق انها صديقة حميمة لي وأزالت كل شكوك "ماري" .

- اتتهمين "ليلان" ؟

- نعم .. ومن حماقة أختي "ماري" انها افضت إليها بان الأوراق التي تحملها كفيلة بان تلقي "كازينو" في السجن ، كما أدركت منها "ليل" أن "جوزيه" في مازق حرج . ولعلك أدركت بدورك لماذا هاج "جوزيه" للتفكير في أن أوراق أختي ستلقي "كازينو"في السجن ؟، ولماذا عول على قتلها قبل أن يتاح لها عمل شيء بهذه الأوراق ؟.

الفصل العاشر

كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عندما استقللنا السيارة من شلسي ..

ووضعت في المؤخر حقيبة تحتوي على بعض اشياء كانت لأخيها ثم أرسلت بعد وفاته لأختها "ماري" ، فلما قتلت هذه اخذتها "جلوريا" واودعتها أحد الأدراج . وعولنا على أن ننزل في فندق كرافن بسيكومب حيث كان يقيم "فاريل" وزوجته "ماري" ، وأن نتخذ اسم "هندرسون" واخت له ، وأن نمكث ما يكفي لتحاشي إلزامنا بتقديم بطاقات التموين والكشف عن حقيقتنا . ولم أكن أدري ما تسفر عنه هذه الرحلة، ولكنني لم أكن أعتزم النكوص بحال بعد أن وجدت في القصة ما يثير كوامن رجل مثلي اعتاد الاشتراك عمليا في كل جريمة غامضة تعترض سبيله ، ولأنني اعتزمت - بعد التدليل لرجال اسكوتلانديارد على حسن طويتي - الا أستمر في تظاهري بالعمل سائقا متواضعا ، بل ساعاود نشاطي في نطاق واسع يتفق مع ماضيّ الحافل وشهرتي الواسعة.

وجلست في الخلف بجانب "جلوريا" معجبا بالروح العملية التي تغشاها بل وتغشى معظم النساء في أوروبا بعد أن ساهمن في الحرب عاملات وممرضات وموظفات .. جنبا لجنب مع الرجال! وانتعشت بالهواء الذي يصافح وجهي حتى إذا بلغت الساعة منتصف الثامنة توقفنا لنتناول الغداء في مكان يبعد خارج لندن حوالي ١٦ كيلو متراً وكنا قد تأخرنا عن الموعد وعلينا أن نتناول ما بقي في المطعم الخاوي من ماكل ومشرب .. ولم أدر لماذا توخت "جلوريا" أن تحدثني عن شقة "سافيلا" في ريبارك وعن القاع المزيف بدولاب مخدع النوم والذي حرص "كازينو" على أن الفت إليه انظار مفتش البوليس . وكان جليا أن "كازينو" يعرف محتوياته وكنت أظنه استقى هذه المعلومات من رفيقتي "جلوريا" ولكنها لم تتطوع باي إيضاح .

وراتني غائصا في افكاري في أثناء تناول الطعام فابتسمت

وسالتني :

- الا يروقك الطعام أم تندم على اصطحابي ؟

فقلت لها بادي الاهتمام :

- كنت افكر في بضعة امور يا "جلوريا" .. فإنني اشبه بذبابة مسكينة وقعت في نسيج عنكبوت لاتعرف أوله من آخره ولا تدري كيف التخلص من حبائله الدقيقة القوية فاجابتني والابتسامة مازالت تتالق على وجهها :

- انا لست عنكبوتاً يا"لوبين" ..

- بالتاكيد لأن العنكبوت قذر ، ولكني أعني بالعنكبوت ذلك الذي غادر المنزل منذ أيام ونسي ما تركه في القاع المزيف بالدولاب الكبير في مخدع النوم ..

ولما وضع الخادم القهوة امامنا ثم انصرف وعدنا وحدنا قالت في هدوء :

- إذن فانت تعرف ! لابد انك كنت على التليفون عندما اخبرني"نيد كازينو" بأن الأمر عاجل وانني يجب أن أخبره بالحقيقة لأبرر للبوليس غارتهم على الشقة وغزوهم لها وإيجاد مادة للصحف التي تصيد عادة في الماء العكر .

- هذا ماقاله لك يا "جلوريا" ولكنه يلتمس المبرر للقبض على "ليلان" وأعوان "سافيلا" في الوقت المناسب .

- من فضل الله أن وصلوا في الوقت المناسب يا"لوبين" .

- ولكنك لم تخبريني كيف علمت بوجود القاع المزيف لذلك الدولاب ؟

وكنت اتوقع ان تتحاشى الرد أو تروغ منه ، غير انها اجابتني على التو :

- كان لدي مفتاحي الخاص للشقة فكنت أدخلها وأخرج كما وعندما أحب ، وهكذا انتهزت إفراط "جوزيه" في الشراب فعرفت منه السر ، ثم عثرت عليه ورايت بنفسي صناديق المسحوق وإن لم أدرما هي .

- ولكن "كازينو" عرف إنها تحوي هيرويين . ؟

- لعله كان يتوقع شيئا من هذا القبيل ويبدو انه كان يعول كثيرا

على معاونتك له .

فجفلت لهذه التهمة الخطأ لأنني إنما ذهبت إلى الشقة بسبب ما قاله "كازينو" عنها ، ولكني لم أستطع أن أقول لها ذلك فسألتها:

- وكيف ذهب بك "مانويل" إلى نادي سيلفر ؟

- يبدو أن "كازينو" كان ثرثارا في اللحظات التي أمسك فيها بالتليفون . اليس كذلك يا "لوبين" ؟

فهززت كتفي وقلت :

- إن "كازينو" شديد الذكاء ويعرف دائما مايريده وكيف يحصل عليه . ولكني أرى أنك لم تحدثيني عن سيلفر .

- ليس ثمة حديث طويل ، فإنني عزمت على أن أذهب إلى شقة "جوزيه" في المساء التالي بعد أن غادرتك وطلبت إليك أن تتصل بي تليفونيا بعد يومين لأنني أردت لنفسي سعة من الوقت لدراسة الأوراق التي عثرنا عليها في سيارتك وقد فحصتها جيداً في شلسي ..

- إذن فهي في مكان آمن ؟ ألم ينتزعها منك "مانويل" أو "كازينو" ؟

- لقد أرسلتها إلى فندق كرافن في سيكومب بعنوان مس "هندرسون" .. أرسلتها مسجلة يا"لوبين" . وستجدها في انتظارنا عند وصولنا .. ألم تكن فكرة صائبة ؟

- جدا .. جدا .. وتدل على فرط ذكائك يا أختاه !

- ومضيت إلى شقة "جوزيه" بعد ظهر اليوم الذي قابلتك فيه فوجدت "ليلان" و"ميكي" هناك في انتظاري . وكانت"ليلان" تريد أن تنشب أظفارها في وجهي ولكن "ميكي" منعها كانما لديه أوامر بذلك من رئيسه . وذهبنا إلى نادي سيلفر حيث تركت في حجرة مقفلة بالتاكيد حتى يتدبر"مانويل" مايجب عمله . وعرفت فور أن نظرت إليه أنه شديد القلق ثم مالبث "نيد كازينو" أن جاء في الوقت الذي كان "مانويل" قد أرسل أعوانه الطغاة لينكلوا بك .

ورجع الخادم فمضينا ننتهي من تناول الطعام ثم غادرنا المطعم، وعادت "جلوريا" تتولى القيادة فجعلت أفكر من جديد في هذه الألغاز التي تتنافر أجزاؤها ويصعب لم شعثها !

وران الصمت علينا إلى أن أوقفت "جلوريا" السيارة لتشتري آخر

طبعة من إحدى صحف لندن المسائية . وتصفحتها على عجل لأجد شيئين على جانب كبير من الأهمية ، أحدهما أن نادي سيلفر في سوهو تغير صاحبه إذ اشتراه "نيد كازينو" من صاحبه القديم - كائنا من كان - لأن أحداً لايعرف اسمه ، والشيء الثاني كان بحروف كبيرة عن حوادث شقة ريبارك ثم الفقرة التالية في ذيل الخبر :

"ومن المفهوم أن رجلا اختفى من مستشفى بـ"لندن" في ساعات مبكرة من هذا الصباح والمعتقد انه مصاب بعدة إصابات في جسمه ووجهه، ويرغب رجال البوليس في استجوابه بشأن الغارة التي شنوها على الشقة في ريبارك . ولما كانت شخصية هذا الرجل غير معروفة إلى الآن فالبوليس يتوقع أن يقدم نفسه فور قراءة هذه الأخبار" .

وتلا ذلك ما قام به رجال الأمن من تحريات في مختلف مستشفيات لندن بلا جدوى !

وكنت قد قرأت كل مايهمني فالقيت الصحيفة جانبا وأنا واثق بان المفتش "دافيدسون" قد أطلق رجاله يبحثون عني في كل مكان. وناولت "جلوريا" الصحيفة فقرأت ما شاءت ثم قالت في اقتضاب:

- لاشك أن صحيفة الصباح التالي ستحوي ما هو أهم وأروع!

وأملت أن تكون خاطئة فيما تتوقعه ولكني احجمت عن قول ذلك . وعندما بلغنا الكيلو الحادي عشر تقريبا خارج سيكومب ، لحقت بنا سيارة غاية في الجدة والأناقة ثم مرت بنا فاسترعى نظري فيها أنها ليست جديدة بالنسبة إليَّ ! والقيت عليها نظرة أخرى فدهشت إذ وجدتها نفس السيارة التي سقتها عبر لندن بعد زيارة "دوللي مايلاند"! وكان يسوقها "نيد كازينو" متجهم الأسارير .

وانطلقت السيارة تنهب الأرض فلم أقل شيئا ولكني تطلعت إلى جلوريا لأجدها لم تتبين شخصية سائق تلك السيارة التي مالبثت أن اختفت في منعطف من الطريق ، فتنهدت تنهد الراحة والخلاص ... ولكن ما إن استدرنا حول ذلك المنعطف حتى كدنا نرتطم بتلك السيارة لولا أن أوقفت "جلوريا" سيارتنا على الفور وبعنف . وقبل أن تقف تماماً كان الباب من ناحية "جلوريا" يفتح وإذا بصوت "كازينو" يصيح بها :

- اخرجي !

وكان إلى جانبه رجل اقصر منه قليلا اسمر الوجه عرفت فيه "مانويل" وخلفهما وقف "فريد" و"ستيف" و"هانك برودسون" وجميعهم عابسو الوجوه !! ولما خطونا إلى الطريق قال "كازينو":

- حسناً يا "هانك"

فوثب الأمريكي إلى السيارة التي كانت تعترض الشارع الضيق فدار بها حتى تقدمت سيارة "جلوريا" . وشعرت بعيني "مانويل" تستقران على وجهي وكرهت ذلك كل الكراهية ، بينما استدارت "جلوريا" لتواجه "كازينو" وتقول :

- حسناً .. ماذا .. ؟

فنهرها صائحا :

- اصمتي فقد سببت متاعب لعينة لكل إنسان !

ثم التفت إلى الامريكي يقول :

- حسناً يا "هانك" . سأترك هذه السيارة الأخرى بعض الوقت لنمضي إلى سيكومب في غير موكب .

إذن فهو ذاهب إلى سيكومب !! ونظرت إلى "جلوريا" التي كانت تحاول عبثاً أن تحل هذا اللغز .. ولكنها كانت مرفوعة الراس بادية الكبرياء والاعتداد بنفسها .

وطلب إليها أن تركب في السيارة الأخرى وان اجلس انا خلف عجلة القيادة في سيارتها ومن خلفي "كازينو" و"سافيلا" يدخنان وإلى جانبي "هانك" . ومضينا من جديد في طريقنا إلى سيكومب . وأمرت أن اتبع السيارة الأمامية وان اقف عند اول حظيرة . وفجاة سالني "كازينو" :

- ماذا قالت لك يا "لوبين" ؟

وكان صوته بارداً خالياً من كل امارات الصداقة والود فقلت له:

- إنني أرثي لشرائك ذلك المنتدى الليلي يا "نيد" ، فقد زاد الأحمال والأعباء التي تثقل ظهرك ودل تصرفك على انك لا ترى إلى ابعد من انفك !

فزمجر وقال :

- إن الدسم في النار

- دسم من ؟ ونار من ؟!

وارتفع صوت "سافيلا" يلعن بالإسبانية وقال "كازينو" ساخطا:

- أصغ إلي ! لقد اثارت هي الدنيا لرغبتها في عمل شيء من اجل اخيها فعرفت الكثير عني وعن الحقيبة التي تناولها "جوزيه" مني واظنها اخبرتك بهذا كله بالتاكيد .

قلت : بالتاكيد

- هل قلت لك إن اللفتنانت "روبين ترنت" كان وغداً رخيصا ارسلني إلى ظهر السفينة لآخذ حقيبتي المليئة بطرود مختومة بالشمع الأحمر ثم استقل قطاراً وانتقل بعد ذلك في قارب إلى هارويش حيث اقابل رجلا بالذات واسلمه الحقيبة . وقد طلب إليّ أن افعل ذلك لأن هذا كله كان بناء على رغبة قلم المخابرات الحربية دون أن يسمح لي بالتساؤل ومحاولة تفهم المقصود من وراء ذلك !!

وراح يسعل لحظة فقلت :

- بل هذه قصتك انت !

- ماذا تعني ؟

- اعني أن اللفتنانت "روبين ترنت" قد قتل عندما رست السفينة على الشاطئ .

فزمجر "سافيلا" وقال "كازينو" ساخراً :

- المفروض ان اللفتنانت "ترنت" قد قتل وان جثته لم يعثر عليها وانها اختفت من السفينة كما ان احداً لم يره على ظهر السفينة .. وتدل الظروف كلها على انه صعد إلى ظهرها فور أن اشعل فتيل القنبلة

قلت :

- وهل هي تعلم ذلك ؟

- إن لم تكن فستعلمه في الحال .

ورايتني اصيح فيهما متهكما :

- أراكما تتفقان بسهولة !

ولكن "كازينو" ابتسم وخاطبني قائلا :

- لا تكن أحمق يا "لوبين" ! إنني و"مانويل" نتبادل الكراهية ويود كل منا لو يقضي على الآخر ، ولكننا اتفقنا فقط على هدنة مسلحة إلى أن تنجلي الأمور وخاصة في عيون البوليس . وقد قابلت "دافيد سون" في ساعة مبكرة من صباح اليوم فامطرني وابلامن أسئلته حتى لأعتقد أنه قد فحص جميع الملفات بقلم المخابرات البريطانية الحربي .

قلت : إذن فانت لم تضع وقتك سدى !

ورأيت حظيرة السيارات عن كثب فتوقفت وهبط "كازينو" ليقابل صاحبها ثم عاد في أقل من ثلاث دقائق ليقول :

- سنترك السيارة هنا .. تعالوا .

فمضينا نستقل سيارة أخرى عند باب الحظيرة ، وربت "كازينو" على كتفي ثم قال :

- خذ مفتاح السيارة واحتفظ به .

وسألته : ماذا أفعل به ؟

فاجابني : لاتلق أسئلة حمقاء يا"لوبين" .

وبلغنا باب السيارة الأخرى ودخلناها ، ثم تولى "هانك برودسون" القيادة إلى أن اقتربنا من مدخل فندق كرافن .. وأنا شخصيا أجد سيكومب شبه ميتة في نظر رجل مثلي عاش في المدن ... ولكنني اغتبطت بأنها لم تكن تعج بالناس لأنني كنت أحس بأن الأشياء من التعقيد بحيث لا يجب لفت أنظار الناس إليها . وخرجت "جلوريا" من السيارة الأخرى أولا ومضت إلى الفندق ، ثم خرج "كازينو" و "سافيلا" يحملان الحقائب التي كنا قد جئنا بها من السيارة التي غادرناها في الحظيرة ... وسألني "كازينو" :

- أي اسم سجلته هي في الفندق ؟

فاجبته :

- هندرسون وأخته .. أرجوك أن تتركني معها نصف ساعة حتى أهيئها حتى للمقابلة وأروضها على المصارحة .. وبعد نصف ساعة تدخل أنت و "سافيلا" وتسمعان ما تقوله .. مارأيك؟ - حسنا .. أمامك نصف ساعة .. على ألا تحاول شيئا يكلفك غالياً يا "لوبين" ..

حاذر أن تكون أدهى من اللازم ، بل اترك الأمور تتخذ طريقها فذلك خير لك ولنا ثم استدار و "سافيلا" يوليانني ظهريهما عائدين إلى السيارة التي انتقل بها "برودسون" بعيداً ، فمضيت إلى الفندق بالحقائب التي بيدي لأجد "جلوريا" جالسة على مقعد في مكتب الاستقبال وقد شحبت أساريرها وتبدى في عينيها ما جعلني أتلهف على احتضانها والتاكيد لها أنني سابقى معها ولكني قلت لها إنه يحسن أن نسجل اسمينا الحقيقيين .

فتطلعت إلي وقد احتشدت في عينيها عشرات الأسئلة التي افقدتها إشراقها وقالت :

- اشعر كانني مريضة ، وأود أن أستلقي في حجرتي ربع ساعة على الأقل .

- فقط ربع ساعة لا أكثر لأن الآخرين سيعودان بعد نصف ساعة ورأساهما ممتلئان بالكثير ، ويجب أن أتحدث إليك قليلا قبل رجوعهما .

فأومات براسها وقالت :

- حسنا يا"لوبين" .. تعال إلى حجرتي بعد عشرين دقيقة .. أوه .. إن رأسي يكاد ينفجر بالصداع !

- ولكن عشر دقائق لا تكفينا للتحدث .

- ربما لا نحتاج إلى أكثر من ذلك .

وغادرتني لأمضي إلى المكتب حيث جلس رجل أصلع حالك اللحية يضع منظاراً داكنا على عينيه وينحني على سجل يقيد فيه بعض الأرقام ، فلما سمع وقع قدمي رفع رأسه وخاطبني باسما :

- آه ! مستر "هندرسون" ؟ لقد أخبرتني أختك أنك قادم وراءها على التو .. إن اسمي "روجز" وسوف أريك حجرتك ، ولكني أخشى ألا نستطيع تقدم كل مايجب من طعام وشراب في هذه الأيام العصيبة كما تعلم .

فأومات برأسي ، وتقدم يحمل إحدى الحقيبتين ، فرثيت للرجل يقوم بعملين متناقضين :

كاتباً وحمالا . وأدركت أن الموسم في سيكومب غير طيب .. وكانت

غرفتي تطل على فناء قديم جعلوه عدة حظائر للسيارات بينما كانت غرفة "جلوريا" في نهاية الدهليز ..

وجلست ادخن وأنا أتطلع بين الفينة والأخرى إلى ساعتي والعن الدقائق الزاحفة في بطء ، ومضيت أقلب في خاطري ما ساقوله لها ولكني تذكرت آخر كلماتها لي :

- ربما لن تحتاج إلى أكثر من الدقائق العشر .

فشعرت بانها تحمل معنى كاسفاً مشؤوما لم أتبينه أول ما سمعت تلك الكلمات . ونفد صبري قبل انتهاء الموعد فمضيت إلى نهاية الدهليز وأدرت أكرة الباب ولكن الباب لم ينفتح لأنه كان مغلقاً من الداخل بالمزلاج واضطررت إلى طرق الباب والصياح :

- "جلوريا" !

فسمعت من الجانب الآخر ما خلته أنة أو شهقة على الأكثر !!

الفصل الحادي عشر

لم اتردد بل تراجعت خطوة ثم دفعت الباب بكتفي وبكل قوتي ، ولكنني مالبثت أن تبينت صعوبة هذه المحاولة مادام الباب مغلقاً بالمزلاج الحديدي من الداخل ..

وبرحت بكتفي الآلام وشعرت بشبه دوار لأنني كنت لاازال أعاني الضعف ولا اقوى على بذل اي مجهود عنيف بجسمي المليء بالرضوض والكدمات .

وكدت أياس لولا أن عدت ففكرت في أن مزلاج الفنادق ليس مما يستعصي على رجل ذي عزيمة وإصرار ، فعدت إلى الباب أدفعه بيدي حتى تمكنت من لخلخة المزلاج هوناً ما .. وتراجعت الوك لساني من الحنق ثم استعملت الكتف الأخرى ونجحت في مسعاي .

وأسرعت إلى الحجرة لأجد بابها مفتوحاً على مصراعيه ، ورايت منضدة صغيرة تعلوها حقيبة يد "جلوريا"، وظرفاً عليه بعض سطور بقلم من الرصاص ، بينما كانت قبعتها على الأرض بجانب معطفها كانما القيا عمداً ! وشاهدت حقيبتها الكبيرة مفتوحة وقد اطل منها ثوب حريري تدلى نصفه على الأرض كانما فوجئت "جلوريا" عندما اخذت تخرج هذا الثوب بما جعلها تترك الحقيبة على الفور .

وبادرت عيناي إلى الفراش فوجدت "جلوريا" فوقه وقد تدلت إحدى ساقيها على جانب منه وانطوت تحت ركبتها .. وكانت تشهق في صوت مختنق بينما كان الرجل الملتحي يحاول خنقها!! وكالدوامة انقضضت على الرجل احفر باصابعي في عينيه إذ كان واجباً علي أن أعمد إلى طريقة يائسة لأنقذ المرأة من الموت ، ولأن العراك الطويل كان فوق ماتحتمله قواي الواهنة إذ ذاك .. وسرعان ما غادرت يدا القاتل رقبة "جلوريا" واستدار إليّ يكشر عن أنيابه الناصعة فامسكت بلحيته صائحاً :

- أيها الخنزير ! أيها الخنزير !

وأسرع يلكمني بكل قوته في بطني حتى خلتني سافرغ كل ما في

جوفي على رأسه وتراجعت نحو الباب المفتوح لأستجمع قوتي فانقض علي . وكدت أبكي من التعب والآلام واخذت الحجرة تسبح امام عيني ، ولكنني عندما اصبح على مقربة مني قست المسافة بينه وبيني جيداً ورفعت قدمي اليسرى واهويت بها على وجهه .. وافلحت الضربة والمناورة فتراجع الرجل يزمجر بالألم ويمسح الدم المنبثق وجهه . ولكنه لم يفقد توازنه وعاد يرفع راسه ويتقدم نحوي صائحاً :

- سأتم ما بداه غيري ..

ووثبت جانباً اتحاشاه ولكنه امسك بي وتعثرت قدمي برجل المنضدة الصغيرة واندفع خلفي بقوته فارتطم بالمنضدة التي تدحرجت بجانبي . ويبدو أن سقطته كانت عنيفة وعلى غرة لأنه ضج بالألم .. وقبل أن ينهض من كبوته كنت واقفاً علي قدمي احمل مقعداً واهوي به على رأس الوغد الذي استكان واحتضن الأرض صاخبا لاعنا .. وإذ اخذت استرد انفاسي تذكرت أن المسدس الذي كانت "جلوريا" قد هددتني به لابد أن يكون في حقيبة يدها ، فانحنيت افتحها وامسك بالمسدس .. ولكن الوغد انتهز هذه الفرصة فقام وانقض علي وامسك بذراعي القابضة على المسدس. وتصببت عرقا بالألم وانا اناضل ثم تطلعت لأصابع يمناي لأجدها لفرط ما تخدرت قد افلتت المسدس وأنني أمسك الهواء..

واشتد رعبي عندما رايته ينقض على المسدس ليلتقطه عن الأرض فاندفعت اركبه واحاول أن اشل حركته بثقلي فاكتفى بان ينفض راسه يميناً ويساراً كما يفعل الكلب ثم وثب واقفاً على قدميه والمسدس في يمينه ! وصاح يبصق الكلما كانما يلفظ اسناناً محطمة من فمه :

- الآن سأتم مهمتي !

ورمقت "جلوريا" وقد ظلت في رقدتها مغشياً عليها لا تعلم شيئاً عما يحدث قيد خطوات منها . واستبد بي الخوف من أن تكون قد ماتت وعصف بي الحنق فارتميت على الرجل غير عابئ بمسدسه واخذ بهذه المفاجاة المتهورة ولكنه سدد لكمة إلى ذقني جعلتني اترنح واسقط على الأرض فبادر يضع قدمه على مرفقي ويدهسه بقوة حتى خلته يريد كسره وتحطيمه ! واستكنت لحظة ثم وثبت على قدمي

وجريت خارجاً بدافع غريزي عجيب . وجرى الرجل خلفي لاعناً ساخطاً . ولعلي اردت أن ابعده عن "جلوريا" التي كان كل همه إخماد انفاسها ، وبي مسكة من الأمل في الا تكون قد ماتت بعد . وانحدرت على الدرج وهو يهبط خلفي . وجريت إلى الباب الأمامي لأجده مغلقاً بالمزلاج وبالمفتاح من الداخل فادركت انني و "جلوريا"سجينان في الفندق .

وفي تلك اللحظة ادركت اي فخ نصب لنا وها هو الفندق لا يحوي غيرنا وهذا القاتل الممسك بمسدس "جلوريا" .

وتحركت عندما سمعته يهبط الدرج .. ووثبت جانباً إلى المشرب وهناك سلحت نفسي بزجاجتين من الشراب .. حتى إذا اقترب من الباب القيت عليه الأولى وكادت تصيب راسه ولكنه تفاداها فتحطمت على الباب وانسكب ما فيها على ملابسي . واصابت الأخرى الباب وانا اصيح : المعونة ! المعونة !

لعلي استلفت الأسماع لتخف للنجدة . وبادرت القي زجاجتين اخريين خلال النافذة للغرض نفسه فصاح بي :

- ساقتلك لو فعلت !

وتقدم نحوي في بطء ومسدسه مسدد إليّ ، وادركت انه يخشى أن يطلق الرصاص فيسمع دويه في الخارج . وتراجعت ممسكا ببعض الزجاجات إلى نهاية المشرب . وتركني أبلغ باباً هناك دون أن يطلق مسدسه علي فوثبت خلف الباب وصفقته في الحال ورائي لأجدني في ممر مظلم ، ورايت فيه باباً آخر فجريت منه وقلبي يكاد ينفجر في صدري .

وكان بجانب ذلك الباب مباشرة درج آخر فمضيت ارقاه غائصاً في التفكير إلى أن بلغت بسطة صغيرة بها بابان عالجت احدهما ففتح وتسللت منه إلى حجرة للنوم . وكان همي منصرفاً إلى نافذة في ذلك المخدع فبادرت أطل منها على فناء مليء بالحظائر مهجور ولكن سقفه كان على قيد اقدام قليلة مني فتساءلت هل استطيع أن أبلغه ؟ وسمعت الرجل قادماً خلفي فوثبت من النافذة ...

وإذ ذاك أطل راس الرجل وكتفاه ثم سدد نحوي مسدسه آمرا :

- ارجع !

ورأيت الموت يتهددني وعاد يصيح بي :

- ارجع وإلا أطلقت عليك النار وسرعان ما سمعت وقع أقدام في الفناء فاستدرت لأرى "تيد كازينو" و "مانويل سافيلا" و"هانك برودسون" الذي صاح وأسرع يجري نحوي وعندما سمعت صيحته :

- انحرف يا "لوبين" !

دوي الطلق الناري بجانب رأسي وفقدت توازني للمفاجأة فهويت على حافة السطح وتلقفني الأمريكي ليضعف من قوة ارتطامي بالأرض ما استطاع .

وأفقت من غشيتي على يد "كازينو" تربت على وجهي فتطلعت إليه ذاهلا ، ثم إلى الفناء الذي أتمدد فيه وقلت :

- أين الزجاجتان ؟

ثم وثبت على قدمي أصيح كالمجنون :

- "جلوريا" ! "جلوريا" ! إنه كان يخنقها فيجب أن نمنعه من العودة إلى محاولته فتاملني "كازينو" مشدوها ثم سألني :

- ألا تتذكر موعدنا يا "لوبين" ؟ لقد جئنا حسب الاتفاق ، فلما وجدنا الباب الأمامي مغلقا بالمفتاح والمزلاج درنا من الخلف . ماذا حدث ؟

فصحت به حانقا :

- لا وقت الآن لتمطرني بأسئلتك فإن ذلك المجنون يريد قتل "جلوريا" وقد فاجأته في غرفتها قبل أن ينفذ جريمته . ولما أمسكت بمسدسها خطفه مني .

وعدت مبهور الأنفاس أصيح :

- اجروا وراءه بالله عليكم !

واقتنعوا أخيرا وبادروا يعملون فحطم "برودسون" نافذة خلفية بالطابق الأرضي ودخلنا نجري وقد التصق بي "كازينو" كأنما يهمه أن يرقبني ويرعاني كأخ له !! وصعدنا إلى الحجرة التي تركت فيها

"جلوريا" لنجدها جالسة على فراشها ممسكة راسها بيديها وأسرعت إليها والباقون يرمقونني ، ثم ركعت أمامها أمسك يديها واقول :

- كيف حالك يا "جلوريا" ؟؟ هل نالك الوغد باذى ؟

فتلفتت حواليها، ثم تفرستني قليلا وغمغمت قائلة :

- انا بخير يا "لوبين".. لايهم .. لايهم !

صحت :

- كيف لايهم ؟ لقد كان يخنقك لولا أن دخلت في الوقت المناسب .:. وكاد يغلبني .. ولما اخذت مسدسك من حقيبتك استطاع أن ينتزعه من يدي الضعيفتين فجريت بعيدا عن هنا .. بعيدا عنك ..

فتطلعتِ إلي في حنان ثم قالت :

- مسكين يا "لوبين" !

ثم تناولت وجهي بين يديها الباردتين وراحت تتاملني طويلا قبل ان تقبل فمي في حرارة .. ولكنها مالبثت ان تركتني بادية الحياء والقلق ثم قالت تسال "كازينو" :

- الم تره ؟

فحملق إليها قليلاً كانما سددت ضربة إلى وجهه ثم تمتم قائلا :

- رايت رجلاً ملتحياً في النافذة ثم اختفى فصحت :

- واسمه "روجز".. لماذا تضحك ؟ هكذا قرأت اسمه على لوحة فوق رأسه ! إنه مجنون بلاشك ولكني لا أدري لماذا ...

فقاطعتني "جلوريا" وهي تضع يدها على ذراعي :

- اصغ إلى يا "لوبين" . إن الاسم الذي قرأته اسمه ليس الحقيقي لأنه يدعي "روبين ترنت" !

فذهلت ايما ذهول ثم عدت فتذكرت كلمات "كازينو" عن "ترنت" وانه وغد وانه اختفى من السفينة وسرعان ما قلت مشدوهاً :

- وهل يسعى اخوك لأن يقتلك يا "جلوريا" ؟

وخطا نحوها "سافيلا" متجهم القسمات شديد الحنق وقد استحالت نظراته إلى جمرات من النار ، وعجب أن تحمل أساريره كل ذلك الحقد البادي عليها ، ولكنه قال في صوت هادئ:

- لقد أخذ الأكليشيهات من "جوزيه" واختفى . لقد خدعه ..

وخدعني .. وخدع "نيد كازيون" . نعم خدع كل إنسان !! وقد قتل "فيليب فاريل" ، وهو المسؤول عن إثارة "جوزيه" إلى الحد الذي جعله يقتل "ماري فاريل" ليمنع ...

ثم توقف عندما شاهد الخطاب المسجل المفتوح وقد أصبح موضوعاً على الفراش فالتقطه وأخرج منه بعض الأوراق ثم تطلع إلى "جلوريا" يسألها :

- أه .. أهذه أوراق الكابتن "فاريل" ؟

فأومأت برأسها وعاد يقول ساخراً :

- أنت تأتين هنا للتحري أيها الذكية وترسلين الأوراق إلى هذا العنوان ولكنك لا تعرفين من هو "روجرز" إلى أن قدمت !!

فنهضت "جلوريا" ومشت إلى النافذة ورأينا كتفيها تهتزان فقال لها "كازينو" مترفقا :

- هوني عليك يا "جلوريا" فسنمضي في أثره ولن يستطيع المضي بعيداً قبل أن نلحق به فاستدارت دامعة العينين تصيح :

- ألا ترى ؟ ألا تدرك أن هذا مالا أريده يا "نيد"!؟ هذا مالا أطيق التفكير فيه ، لا أريد أن يقبض عليه ويحاكم و ...

فسألها "سافيلا" وهو ثائر حانق :

- لم لا ؟ إن "جوزيه" حوكم على جريمة قتل وأخوك المسؤول ! لقد قامر وفقد نقوده في أثناء الحرب عندما كان يقضي إجازاته ثم لم يقو على الدفع . لقد أخذ طعامنا وشرابنا ووثقنا به ثم غرر بنا وادعى أنه في قلم المخابرات السرية وأنه يعرف أشياء كثيرة ولما أصغينا إليه وخطر لأخي أن يستغل ذلك وخاصة عندما حدثه أخوك عن الاكليشيهات وإمكان إخفائها وطبع العدد الذي نريده من الأوراق المزيفة ! وقد راقتني الفكرة وشجعت "جوزيه" عليها ولكن أخاك خدعه، فقد كان المتفق عليه أن يحصل "جوزيه" على حقيبة من "نيد كازينو" ثم ينتظر ليعطي الحقيبة وبداخلها الاكليشيهات إلى رجل يضع في إصبعه خاتماً أعطاه أخي "جوزيه" لأخيك الماكر . وانتظر ثلاثة أو أربعة أشهر أو ستة في الغالب فإذا برجل ملتح يأتي وفي إصبعه ذلك الخاتم الذي لم يكن سوى خاتم والدة "جوزيه" فكان أن أعطاه "جوزيه"

الحقيبة كامر اخيك وقال له الرجل إنه سيتصل به تليفونيا ليحدثه عما يتم في أمر الطبع .. ولكن كان ذلك آخر عهد "جوزيه" به وبالموضوع إلى أن جئت والكابتن "فاريل" لتكتشفا الحقيقة .

وسكت "سافيلا" بادي الإعياء ثم اخرج منديلا جفف به عرقه واستطرد يقول :

- والآن يظهر الرجل الملتحي ونعرف انه اخوك ولكنني سوف اقتله كما سيقتل اخي وهذا دين سيظل في عنقي لـ"جوزيه" ويجب ان أؤديه قبل أن يموت أخي !

وجلست على حافة الفراش وجلست "جلوريا" بجانبي وقال "كازينو":

- يجب قبل أن نتصيده يا "جلوريا" ان تحدثينا عما فعله لمادخل عليك هنا ؟

فاحسست بها إلى جانبي ترتعد ثم قالت بصوت يختلج :

- دخل واغلق خلفه الباب بالمزلاج .. وكنت مستلقية على الفراش مصدعة الراس راغبة في التفكير قبل أن يدخل "لوبين" ويلح علي في الإفضاء إليه بكل ما اعلمه تبديداً للشكوك التي تكتنفني ، فلما دخل ظننته "لوبين" النافد الصبر ، ثم سمعت الرجل يحدثني في صوت هادئ عادي :

- كان يجب يا "جلوريا" أن تخرجي من حياتي .. انت و"فيليب".

فلما رفعت راسي ورايت لحيته ونظارته السوداء وثبت صائحة:

- "روبين" ! أخي ؟

وخطفت النظارة عن وجهه فعاد يحدثني وعيناه تلتهبان بالحقد والكراهية :

- نعم . كان يجب أن تظلا بعيدين عن حياتي أنت و"فيليب" كلاكما.. كان يجب أن تتركاني وحدي والا تتدخلا وتهتما باشياء لاتهمكما .

وكان يتحدث كمن يتلو شيئا حفظه عن ظهر قلب ! وخيل إليَّ أنه ليس أخي وإنما شخص غريب تقطر كلماته بالكره والعداء ويود لو يلحق بي الأذى ! وادركت لتوي انني في خطر كبير . وتقدم نحوي ووضع يديه حول عنقي ثم راح يضغط ويضغط ..

وأذهلتني المفاجاة وناضلته وحاولت ان اصرخ ، فوضع يده على وجهي فلما عضضتها لطمني بقوة ثم شد يديه على عنقي من جديد ! وحاولت مرة اخرى أن اصرخ فالقاني على الفراش وراح يضغط ويضغط إلى أن غصت في سحابة من الإغماء .. او الكابوس .

وعندما افقت وجدت هذه المنضدة محطمة والباب مفتوحا ، والغرفة خالية وقد تلطخ بساطها ببعض لطخ من الدم ، ومن عجب أنه كان يتمتم بعبارات محمومة .

فسالها "كازينو" :

- الا تذكرين بعض هذه الكلمات ؟

- نعم .. بعضها .. نتفاً منها.. اذكر انه كان يضحك وهو يقول إن خطي وأنا فتاة لم يتغير وبذلك عرف أن الخطاب المسجل باسم مس "هندرسون" مكتوب بخطي وانني مرسلته ، فاخذ حذره واعتزم تدبير خطته ، وبدأ بان أغلق الفندق ولم يطلب له طعاما أو شرابا بالتاكيد .

- هيا نبحث عنه .

فصرخت مولولة : كلا .. كلا يا "نيد" !

ولكن "كازينو" كان قد بارح الغرفة ، فمضينا نتبعه تاركين "جلوريا" وحدها مع الأوراق التي كان "سافيلا" قد انتزعها من الظرف ثم أعادها إليها .. وقضينا نصف ساعة ننقب في أرجاء الفندق ، ولم نترك طابقا أو حجرة دون بحث دقيق ولكن بلاجدوى!

وكان "كازينو" و "سافيلا" يبحثان بحث خبيرين دون أن يهتديا إلى الرجل رغم أن جميع الأبواب كانت مغلقة وخلفها المزاليج من الداخل ، كما كانت النوافذ على حالها دون اي اثر يدل على محاولة الرجل حتى الاقتراب منها أو معالجة فتحها ! واخيرا زام الأمريكي :

- إنه ليس ساحرا ولايمكن أن يتبخر او يستحيل إلى هواء !

وهكذا عدنا ننقب وننبش من جديد .. ومضيت إلى المطبخ القديم لأتناول جرعة من الماء ، وبينما وقفت أمام الصنبور لاحظت احد الأبواب في قاع خزانة أدوات المائدة (الدرسوار) مفتوحا وعلى حافته بقعة من الدم ، فبادرت أفتح أبواب ذلك الدرسوار لأجد فراغا يكفي لأن ينحشر فيه رجل...وتحسست المشمع الذي يغطي القاع ثم انتزعته

لأجد ترباساً لباب خفي ، فبادرت أخرج من المطبخ وأنادي الآخرين .. وقدموا يعدون ، فقلت :

- عرفت اين ذهب .. إن تحت هذا المطبخ كيلارا بابه تحت هذا الدرسوار .

وكان الجهد قد نال مني ، وشعر الامريكي بانني اكاد اسقط إعياء ، فلف ذراعه حولي حتى أسترد بعض قوتي الواهنة .. اما "سافيلا" فاسرع إلى الباب الخفي بالخزانة ثم فتحه عن فجوة شديدة الظلام ، ولكنه تدلى منها وراح يدور بقدمه فيها كانما يحرك محتويات إناء كبير ، إلى أن عثرت قدمه بدرج فمضى يهبطه .. واختفى رأسه وكتفاه فاخذ "كازينو" يتبعه ، واضاء نور من الفجوة فادركت أن "سافيلا" وجد زراً كهربياً للكيلار ، وسمعته يصيح فقلت للامريكي :

- أنا الآن بخير .. دعني اذهب .

ولكنه لم يتركني حتى الححت عليه ، وما لبثت أن تبعتهم إلى الفجوة وهبطت الدرج اشبه بمن يمشي على حبل لأول مرة ! ووجدتني في كيلار كبير ابيض الجدران ، وادهشني أن رايت مطبعة يضيئها مصباح مظلل ! وكان "كازينو" يفحص شيئا اخذه من المطبعة ، ثم قال:

- هذا جواب أشياء كثيرة .. لقد قام بطبع الأوراق المالية .

ثم مضى يوجه حديثه إليّ :

- إن "جوزيه" و"مانويل" "سافيلا" قد خدعهما هذا الوغد الذي استغلهما لمصلحته لقد كان "روبين ترنت" يطبع الأوراق المالية المزيفة هنا في هدوء وربما بنجاح فسالته :

- وماذا كانت حاجته "بجوزيه ومانويل" ؟ لماذا كانا ضروريين له؟

فاعاد الأكليشيه إلى مكانه ثم قال :

- كان "ترنت" في أيديهما بسبب ديون في المقامرة لم يستطع سدادها .. ديون ارتبط بها عندما كان يقضي إجازته في انديتهما الليلية ، فأراد أن يمنيهما بما سيعود عليهما باكبر فائدة ثم أشركهما في المخاطرة ، ورأى بعد ذلك أن يظفر وحده بالغنم ، واعد خطته للاختفاء نهائيا .

وقدم الأمريكي يتلفت حوله واستطرد "كازينو" يحدثني :

- وهكذا دبر الحصول على الأكليشيهات التي نما إليه خبرها وجعلني كبش الفداء فحملت الأكليشيهات ووضعتها في يدي "جوزيه" معتقداً أنني أتعامل مع أحد رجال المخابرات السرية الذي كان في انتظاري .. ثم أغرق السفينة واختفى كأنما لقي فيها حتفه .. وفوجئت بأن "مايلاند" (مراسلة) "فيليب فاريل" يبحث ويتحرى عني ، ولكني استطعت أن أتحدث إلى "برت مايلاند" وفهم كل منا الآخر جيدا .

فقلت حائرا :

- إنك تخلط كثيرا يا "نيد" ! يوما تقول "برت".. ويوماً آخر تقول الرجل الذي أرسل "برت" إلى المستشفى !! ولكن استمر .. لماذا جئت إلى سيكومب ؟

- حقا ما كان يجب .. ولكن قل لي يا "لوبين" : لو أنك سئلت أن تذكر اسم مكان يمكن أن يوجد فيه "ترنت" المختفي أو الضائع فأي مكان تذكر ؟

- سيكومب .. ولكن أين هو ؟

- ربما استطاع "مانويل" أن يجيبك فلنسأله .

وسرنا إلى حيث وقف "سافيلا" وهناك كانت بجانب الجدار حقيبة مفتوحة وفوقها قطعة من مرآة . وفي الحقيبة تناثرت بعض الملابس التي كان يرتديها الرجل الملتحي .. ورأينا مقصا على منضدة بجانب الحقيبة ، فلما التقطته وجدت بين نصليه شعيرات سوداء كما وجدت (أنبوبة كريم) حلاقة وموسى فوق نصلها بقع من الدم ..

والتقطت من الأرض قصاصة من صحيفة تعلوها رغاوي صابون ملطخة كذلك بالدم فادركت أن الرجل جرح نفسه وهو يحلق بسرعة .

وكان "برودسون" ينبش في الحقيبة فصاح : انظروا !

ورأينا ملابس أخرى وشعرا مستعارا ونظارة وأنابيب ألوان مما يستعمله الفنانون وعاد الأمريكي يصيح : هذا هو الطريق الذي ذهب منه .

وأشار إلى غطاء المجاري ذي المفصلات .. ورفعنا الغطاء لنجد سلما من الحديد ونتبين أن محتويات الخزان قد كسحت حديثا ..

الفصل الثاني عشر

صاح "كازينو" :

- إذن فقد خرج من الفندق وهرب ، لا ندري إلى اين كما لاندري أي هيئة قد اتخذها ولا من أين نبدأ البحث عنه .

فانتفض "برودسون" وقال :

- مالك تتحدث هكذا كانك من رجال البوليس السري ؟ إنني رجل خرافي كما قد تظنون ولا أحب حتى أن أقوم بدور رجل البوليس .

فقال "كازينو" :

- الحق انني لا أفهم ما ترمي إليه يا "هانك" ولا أحب هذه الالغاز .

- يخيل إليّ أن "روبين ترنت" لايحب كذلك أن يتدخل رجال البوليس في أمره ولذلك كان متاهبا للهرب والإفلات .. ولهذا اشتد رعبه عندما وصلت "جلوريا" و"لوبين" وقد أراد أن يتخلص منهما على طريقته . وبحيث لايضطر إلى مغادرة الفندق وشخصيته المزيفة وحياته الهينة الآمنة ، ولكن "لوبين" مل انتظار "جلوريا" فكان ما كان ..

فهز "كازينو" رأسه وقال : المهم أنه هرب فهل لدى أحدكم رأي ما ؟

فقلت : لا أعتقد أن "ترنت" يحاول الهرب ومعه حقيبة .

وهنا قال "سافيلا" نافد الصبر : ومن أين جاءك أن الرجل يحمل حقيبة ؟

- مجرد اعتقادي بانه يحمل معه الأوراق المالية المزيفة ، لانه لا يمكن أن يتركها هنا بحال .

- ولماذا ترك الأكليشيهات ؟

- لأنه لم يجد داعيا لذلك مادام أن البوليس سيدهم المكان ويعثر على المطبعة . وأغلب الظن أن الرجل رحل مطمئناً إلى أن البوليس سيعتقد أن المجرم يدعى "روجز" ، ومعتزما أن يرجع بعد ذلك وقد استعاد شخصية "روبين ترنت" .

وعاد "سافيلا" يسالني حائراً : وماذا يحملك على الظن بانه لن يحاول الهرب ؟

فاجبته : إن الرجل يعتقد اننا سوف نستدعي رجال البوليس في الحال وانهم سيقومون على الفور بتحرياتهم وانهم سيراقبون على الفور كل من يغادرون سيكومب .. ولهذا فهو لن يهرب وإنما سياتي .. اي سيصل إلى هنا

فحملقوا جميعهم إليّ غير فاهمين وغمغم "كازينو" مشدوهاً :

- سياتي ! سيصل ! ماذا تعني يا "لوبين" ؟

- اعني انه خرج من هنا مرتدياً حلة جديدة ومغطياً راسه بشعر مستعار وحاملا حقيبة مليئة بالأوراق المزيفة ، وهو يخشى أن تكون الرقابة مفروضة على المسافرين من سيكومب ، ولذلك فسوف يتظاهر بانه مسافر وصل إلى سيكومب ، واظنكم معي في أن البوليس سيجعل كل همه مراقبة الذاهبين وانه لن يقترب من القادمين . افهمتني يا "كازينو" !

فاوما براسه ثم قال : إذن سيكون بحثنا وتنقيبنا في المحطة حيث نجده قد تسلل بين القادمين .

- هذا ما اراه لأن رجلاً مثله يخاطر بحياته وبشخصيته لشديد الدهاء .

وتقدم "سافيلا" قائلا : إذن هيا بنا إلى المحطة .

وتطلع "كازينو" إلي فقلت : انتظروا ! ماذا عن "جلوريا" ؟ لن نتركها وحدها هنا فقد يعود الرجل ويجب أن يبقى احدنا معها .

- سيتولى : هانك" الانتقال بـ"جلوريا" والحقائب إلى "ستيف" لتنتظر معه في السيارة بعيداً عن مواطن الأذى . اما انا وانت فسنبقى هنا مع "سافيلا" إلى أن يعود إلينا "هانك" فنمضي إلى المحطة ثم إلى اقرب فندق .

ثم التفت إلى الأمريكي بنظرات زاخرة بالمعاني وقال له : امامنا نصف ساعة واسرعت إلى المطبخ اغسل وجهي . وراتني "جلوريا" و"هانك" قبل مغادرتهما الفندق فابتسمت الشقراء في وجهي وقالت : احتط لنفسك جيداً يا"لوبين" .

وتركت "جلوريا" تمضي مع الرجل الدائم الابتسام والمرح مهما تعقدت الأمور ، ولحقت بـ"كازينو" و "سافيلا" فوجدت الأخير يكاد

يتميز من القلق ويحترق بنفاد الصبر وقد أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا كدب وقع في فجوة عميقة ! وكان دميم الوجه بذلك الضيق والتبرم حتى لقد تساءلت متى ينهي "كازينو" هذه الهدنة الصغيرة مع ذلك الوغد .... !

ورجع "هانك برودسون" فصاح به "سافيلا" حانقا : ما هذا التاخير ؟

ولكن الأمريكي لم يحفل به ولم يعن حتى بأن يلقي عليه نظرة واحدة . وغادرنا الفندق من باب المطبخ ومالبثنا بعد عشر دقائق أن كنا في المحطة حيث قام "كازينو" بتحريات علمنا منها أن قطاراً من لندن وصل منذ عشر دقائق فقط ، وقال "كازينو" إذ ذاك:

- انتظروا ... لدي فكرة ..

ومضى عبر فناء المحطة ثم تحدث إلى شيال بعد أن نفحه حلوانا.. وعاد إلينا يقول :

- توجد ثلاثة فنادق : جراند وكرافن وتشانل هايتس فلنجرب فندق جراند أولا واستقللنا (تاكسي) إلى ذلك الفندق فوجدنا في ردهته الخارجية كهلين وبعض شبان يثرثرون .. وذهب "كازينو" إلى غرفة الاستقبال ثم رجع بعد لحظات يقول :

- هيا نبحث في تشانل هايتس بلا تاخير .. إنه قريب من هنا فلنذهب سيراً على الأقدام ..

وخرجنا إلى الشارع متجهين إلى ذلك الفندق وفي ردهته وجدنا ستة جالسين يشربون في (المشرب) وقد وضع أحدهم نظارة على عينيه وارتدى ثوبا حالكا ووضع حقيبة كبيرة عند قدميه.. وكان شعره وشاربه رماديين ولكنه كان الوحيد الذي يصطحب معه حقيبة ..

وتطلع "نيد" إلى ساعته ثم سأل "برودسون" في اقتضاب : "ستيف" ؟

فأومأ الأمريكي برأسه وقال :

- إنه طلب إلى"فريد" أن يبقى في (كشك) للتليفون معي رقمه فهل أحدثه ؟

ولما أومأ "كازينو" برأسه مضى "برودسون"نحو كشك للتليفون في نهاية الردهة بينما زام "سافيلا" قائلا : ما هذه المكالمة التليفونية ؟

فاجابه "كازينو" : مجرد حيطة لا اكثر وستعلم كل شيء فيما بعد .

- أوه إنني لا أحب كل هذه الأساليب الملتوية والإحجام عن المخاطرة.

وبدا على "كازينو" الغضب ولكنه كظم غيظه وحنقه ثم قال وهو يتجه نحو المشرب :

- تعالوا نشرب قليلا .

واعتلينا المقاعد التي أمر لنا بها حول (المشرب) وحاولت أن ابتعد بعيني ما استطعت عن الرجل ذي النظارة والحقيبة لانني لم أر فيه ما يدل على أنه نفس الرجل الذي اشتبكت معه في المعركة من أجل "جلوريا" وحياتها الغالية عندي .. وهو بدوره لم يستدر ليتطلع إلينا بل ظل منهمكا في شرابه وصحيفة مسائية . وعاد "برودسون" الأمريكي ليحشر نفسه بيني وبين "كازينو" ويقول له:

- يقول "فريد" إن "هاري" أوقف سيارته في الوقت المناسب وانه واثق بوجود سيارة للبوليس خارج موقف السيارات وسوف يعود "فريد" فيتصل بـ"هاري" لاسلكيا ويطلب إليه موافاتنا هنا مباشرة ليقوم بالتغطية اللازمة في مدى أربع دقائق من الحادث المنتظر فاوما "كازينو" براسه وقال : شكراً يا "هانك" ..

وعدت أتامل الرجل ذا الحقيبة عند أقدام مقعده العالي أمام المشرب وكان يطوي الصحيفة فرأيت على ذقنه جرحا جديداً ثم جرحا آخر بالقرب من أذنه !! وكان ذلك كافيا لأن يربد وجهي فامتدت يد "كازينو" تدفع ركبتي وقد برقت عيناه ثم هز رأسه دون أن ينطق بحرف ، وبذلك أدركت أنه شاهد الجرحين من قبلي أي عند دخولنا الفندق . اما "سافيلا" فلم يرهما إلا عندما طوى الرجل صحيفته ولذلك انقض من مقعده يمسك يد الرجل التي بدا فيها إذ ذاك خاتم اشبه في شكله بإبزيم من الذهب ! وكان "سافيلا" يصيح : خاتم "جوزيه" خاتم أمنا ! أنت الرجل الذي ...

وراح يلعن ويصخب بلغته الإسبانية . وألقى الرجل صحيفته وانحدرت نظرته إليَّ - من خلف نظارته - قوية نافذة كنظرة النسر ، ومنعني "كازينو" من أن أنقض بدوري عليه وسرعان ما ثار الرجل ثم

وثب يجري ومن خلفه "سافيلا" يتبعه ويصيح . وأخرج الرجل من جيبه مسدس "جلوريا" ولكن قبل أن يسدده إلى "سافيلا" كان هذا قد لطمه على وجهه لطمة قوية جعلت الرجل يهوي على الأرض وقد سقط المسدس من يده . وانحنى "سافيلا" بسرعة يلتقط المسدس ويطلق منه ثلاثة أعيرة إلى الرجل الجاثم عند قدميه. واندفع "كازينو" نحو المدخل وقد تسمرت عيون جميع من في الردهة الواسعة على ذلك المنظر .

وسرعان ما اختفى "برودسون" وبقيت في مكان ممسكا كاسي وقد أذهلتني المفاجاة إلى أن انفجرت إحدى النساء معولة بينما تجمع الرجال حول "سافيلا". وساورني القلق المتزايد في كل لحظة إلى أن فتح الباب ودخل منه "كازينو" و "برودسون" وفي رفقتهما المفتش "دافيدسون" ومساعده ! وهتف "كازينو" يحدثني :

- أهذا أنت يا "لوبين" ! لقد جئت أعيدك إلى لندن ، ما كان يجدر أن تهرب من المستشفى فتجعل مفتش البوليس يطاردني طول اليوم إلى أن لحق بي . أنت ولد شقي .. ولكن .. ماذا حدث؟ وما هذا الزحام ؟!

فصاح أحد الحاضرين : لقد مات .

وصاح أخر : استدعوا طبيباً والبوليس .

ونظر كل من المفتش ومساعده إلى الأخر ثم تقدما إلى الحشد الملتف في منتصف الردهة بينما كان "سافيلا" يناضل أربعة رجال عصف بهم الغضب للحادث . وتطلعت إلى "كازينو" الذي كان هادئا ثابتا كالطود فعاد يخاطبني بصوت مرتفع :

- قل لي ماذا حدث وماسر هذه الجلبة كلها ؟

وحملت سيارة الإسعاف جثة "روبين ترنت" الذي دلت الأوراق التي وجدت في جيبه على أنه يدعى "ريتشارد تايلور" !! بينما سيق "مانويل سافيلا" إلى اقرب مخفر للبوليس يحرسه الكونستابل المحلي ، ثم دعاني "كازينو" للخروج معه من الفندق .. وفي الشارع كانت تقف سيارته الأمريكية وخلف عجلة قيادتها "هاري" بينما على الجانب المقابل من الشارع كانت تقف سيارة البوليس، ومالبث المفتش "دافيدسون" ومساعده أن لحقا بنا على الرصيف وانشا المفتش يتحدث مباشرة في الموضوع قائلا لـ"نيد" :

- لقد تبعنا سيارتك من العصر وهي تتجول في انحاء البلد ولكن هانتذا تصل بعد بضع ثوان من هذا الحادث ثم تجد "ارسين لوبين" أمام المشرب وقدا اكفهرت أساريره !

وحاولت أن أحتج على نسبة الشحوب إليٌ والجميع يعلمون انني مريض ولكن المفتش استرسل يقول : ويزيد حيرتي أن وجدنا "سافيلا" ممسكا بمسدس بعد أن قتل رجلا غريباً تمتلئ حقيبته باوراق مالية مزيفة !!

فابتسم "كازينو" ثم أخرج سيجارة ليشعلها في هدوء وهو يقول:

- إنك تبحث دائما عن الدوافع والأسباب البعيدة متجاهلا التعليلات السطحية التي لاتحتاج إلى جهد وتفكير ! ! إنني احب التجول في البلد بسيارتي ولذلك تجدني اتنزه فيها دائماً وخصوصاً في مكان جميل مثل سيكومب ولكن ربما اوما "سافيلا" إلى انني كنت هنا ومع ذلك فقد قمنا ببعض الأعمال في الليلة الماضية واظنك قرات في الصحف أن نادي سيلفر قد انتقلت ملكيته إلي ...

فقاطعه المفتش في خشونة : وأظنك انت تعلم انني تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفر حملتني على الذهاب إلى شقة "جوزيه سافيلا" !!

ولما لم يحفل "كازينو" بذلك الجو المشحون بالكهرباء عاد المفتش يقول :

- لولم.. أرك بعيني تصل إلى هنا ، ولو لم أرك واقفا على الرصيف بعد أن خرجت من سيارتك ، ولو لم الحق بك قبل أن تدخل الفندق ...

ثم توقف يلتقط انفاسه اللاهثة لفرط انفعاله ، فسأله "كازينو" في براءة وسذاجة :

- لولا هذا كله لكان .. ماذا ؟

فزمجر المفتش متقززا: لا ادري لماذا انفعل كلما فكرت فيك يا "نيد" !؟

- هذا يرجع إلى طبيعتك المتشككة يا مستر"دافيدسون" .

- خذ مثلا .. ها هو "لوبين" هنا في داخل الفندق حيث كان واجباً أن تكون بدورك معه في ذلك الفندق .

- إنك تنسى يا سيدي أن "سافيلا" يطارد "لوبين" فلا مجال إلى

تصديقه لو حاول أن يكذب عليكم ويدعي أنني كنت هنا لانك رايتني بعينيك عند وصولي .

– حسنا .. لقد رايناك وتبعنا سيارتك وهي تتجول في انجلترا ثم تقف عند موقف السيارات ولم نرك تخرج منها إذ ذاك وتبعناك إلى هنا، فلما خرجت من سيارتك التي نعرفها جيداً خرج معك "برودسون".

– على أي حال أنا لم أشاهد حادث إطلاق الرصاص ولست شاهدا عليه ، لأنني كما تعلم كنت في سيارتي .. أعني لن تطلبني المحكمة لأداء الشهادة .

– ولكن سيجيء يوم ..

– دعنا من المستقبل فهو في عالم الغيب .

– ولكن كيف عرفت أن "سافيلا" سيطارد "لوبين" ؟

– قال لي ذلك بنفسه عندما اشتريت منه نادي سيلفر .

– الحق أنني لا أدري كيف تجمع رجال "سافيلا" في شقة اخيه مع "ليلان" ، أو لماذا جاء "سافيلا" إلى سيكومب ، أو لماذا يطارد"لوبين" ، او لماذا يجيء بنفسه إلى سيكومب ؟!

– إنك تنسى يا سيدي المفتش أن "لوبين" يتودد إلى مسز "جوزيه سافيلا" ، وأنها كانت كذلك في نادي سيلفر ، وأنها دعت "لوبين" إلى الشقة دون أن تدري أن رجال "سافيلا" قد استعدوا لمقابلته هناك مقابلة حارة ، ثم يجب الا تنسى أن "مانويل" "سافيلا" يحقد على"لوبين" لأنه شهد على أخيه "جوزيه" شهادة ستفضي به إلى المشنقة .

– اسكت انت ودع "لوبين" يخبرنا .

وأدركت أن الكرة قد القيت في حجري كما تقول الأمثال ، وتطلعت إلى "كازينو" فوجدته قد عقد ما بين حاجبيه كانما يحذرني من التورط، ولكنني قلت في اعتداد :

– الأمر غاية في السهولة والوضوح .. فإن "نيد" كان يعلم الكثير عن اهتمامي بـ "جلوريا سافيلا" .

ولما أطرق المفتش برأسه استرسلت اقول :

– لقد اهتممت فعلاب "جلوريا" وتعددت مقابلاتنا ووجدتها تسعى

لمعرفة شيء يهمها عن أختها وزوج أختها . ثم وعدتها بالمجيء إلى سيكومب . ومن أجل ذلك ذهبت إلى شقتها لنتحدث في الأمر، ثم كان ما كان من ذهابي إلى المستشفى ، ثم مغادرتي له معتزما مقابلة "جلوريا" .

- لقد فكرتنا بلعبتك القذرة ؟

- وحاولت أن أتصل بها تليفونيا ولكني لم أستطع .

وكذبت متعمدا لأبعد "جلوريا" عن كل ما يجعلها موضعا للمؤاخذة ثم استطردت أقول :

- ولم أشأ أن أكون في مكاني قريب من لندن خشية أن يقتلني "سافيلا" ، فجئت إلى هنا لأشرب كاسا فإذا بي أرى "سافيلا" هنا، ثم شاهدته ينقض على رجل جالس على قيد خطوات مني وإذا بهذا الرجل يخرج مسدسه . وغدوت أشبه بمن يتملكه كابوس، وحرت ماذا أفعل إلى أن رأيتك و"نيد" ومساعدك داخلين.. هذا إلى جانب أنك تعلم لماذا أنا هنا .

لماذا يا "لوبين" !

- لأن "جلوريا" كانت سترسل لك نسخة من أوراق أخذتها من أختها وتوضح ماذا كان يعمله زوج أختها عندما قتل في حادث السفينة وفيها ذكر للأوراق المالية المزيفة .

- لقد أرسلت لي النسخة فعلا ولكنها لم تذكر أسماء ، فهل حوى الأصل ...

- اسألها هي عن ذلك فإنني لا أحب أن يكون لي شأن في هذا الموضوع

وإذ ذاك قال لي "كازينو" :

- تعال أوصلك في سيارتي يا "لوبين" فإنك مازلت بادي الإعياء

ورأيت أن أمضي عائدا إلى لندن مع "نيد" لأتحدث إليه قليلا بعد أن أجاد دوره وجعل السيارة الأمريكية تصل بالضبط في الوقت الذي يوهم المفتش والسيارة المطاردة أنه لم يكن في سيكومب قبل الحادث !

وأخيرا قال المفتش :

- أرجو أن أراكما قريبا ، واعتقد يا "نيد" أنك أمهر كاذب في هذا

البلد ، ولكن سياتي وقت ..

والتقطنا "برودسون" ثم "هاري" .. ووجدني "كازينو" مكتئبا ، فلما سألني عن السبب قلت :

- عندما يعود رجال البوليس لفندق كرافن في الغد ويجدون الأثاث المحطم في مخدع النوم وماتركناه في الكيلار والمطبعة والاكليشيهات والملابس وأدوات التنكر والمقص والمسدس .. لن تجوز حيلتنا على "دافيدسدون" !

فابتسم "كازينو" وقال : لقد خيبت رجائي فيك يا"لوبين" !إنك ذكي وفي ولكنك كثير التشاؤم . إن "فريد" قد تولى تبديد مخاوفك فيما عدا المطبعة .

والحق أنني أكبرت في "كازينو" فضائل كثيرة جعلتني أوثره باعترافاتي وأجعله محور قصتي ، فقد امتاز بدقة كبيرة وخاصة في التوقيت واستخدام أحدث المخترعات ، فبفضل جهاز الإذاعة تمكن "هاري" و "فريد" من الاتصال معا وكل منهما في سيارته ، كما أعجبت بتضليله رجال البوليس وحملهم على مطاردة السيارة الأمريكية ظناً منهم أنهم يتأثرون خطاه ، ولذلك فهو جدير بما نعته به المفتش "دافيدسدون" من انه أمهر كذاب في البلد !

ولاشك أن "كازينو" قد أتقن فن الكذب بحيث ظل بعيدا عن متناول القانون كما حمل الآخرين عليه لحمايته ، وها هو ذا يجعل من مفتش البوليس ومساعده شاهدين على عدم وجوده في مكان الجريمة وقت وقوعها !

وانفجرت ضاحكا فاغتبط "كازينو" وتناول من جيبه مفتاح السيارة الذي كان قد أعطانيه ثم قال معتذراً :

- عندما كنا في فندق تشانل هايتس رأيت من الحكمة أن أبعده عنك مخافة أن يفتشوك ثم يهتدوا بالمفتاح إلى أن "جلوريا" استأجرت تلك السيارة .

وخرجنا من سيكومب فالتقط "هاري" جهاز الإذاعة وناوله لـ"برودسون" . وجرت السيارة إلى أن بلغت الحظيرة حيث كانت السيارة المأجورة قد تركت فانزلني "كازينو" قائلا :

- أرجو لك حظا سعيدا يا "لوبين" ولاتنس أن تقبل لي شقراءك.

ورأيت "كازينو" ينساني فور أن أغلق خلفي باب السيارة ليقول للأمريكي :

- قل لـ"ستيف" ...

ورأيت في السيارة المجاورة "جلوريا" تستقبلني باسمة وتقول:

- لا تبد دهشتك أو أظنك غير مرتاح لمقابلتي ! هات المفتاح وهيا نتنزه قليلا لتخبرني في الطريق بما حدث .

وعدنا إلى لندن في بطء وأنا أروي لها القصة المحبوكة التي نسج خيوطها الدقيقة "كازينو" فضحكت وقالت :

- إن "كازينو" شديد الاحتراس ولكن شيئا واحدا نسيه وكان يمكن أن يقضي عليه.. لقد حذفت الأسماء من النسخة التي أرسلتها لمفتش البوليس ولكنها موجودة في الأصل . فلما بدأ "برودسون" يعاونني في حزم حقيبتي قبل أن يأخذني إلى السيارة التي في الموقف التقط الطرف المسجل وأشعل فيه النار . وقبل أن أمنعه قال إنه يفعل ذلك «لمجرد الاحتياط» .

قلت : ثقي بأن "كازينو" هو الذي طلب إليه ذلك .

- الحق أنه بعيد النظر ويفكر في كل شيء .

فسعلت وقلت : تصوري أنه فكر حتى في أن أقبلك !

وأوقفت السيارة ولففت حولها ذراعي .

"تمت بحمد الله"

هـذه فـرصـتـك .. أرسـل طـلـبـك الـيـوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعرّبة
للروايات البوليسية العالميّة
أرسين لوبين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحيّة وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوبين

نعم..

إنّها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوبين.

نعم جميعها ومعرّبة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران امريكيان، وثمن (٦) ست روايات (١٠) عشرة دولارات اميركيّة، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات وتحصل على رواية إضافيّة مجانيّة.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبالدولار الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤوليّة إرسال أي مبالغ نقديّة داخل الرسائل !

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك
مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦				

الإسم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس آداب		
٢	ارسين لوبين بوليس سري		
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	ارسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	ارسين لوبين في موسكو		
٨	ارسين لوبين في قاع البحر		
٩	ارسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع ارسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات ارسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		